(٣)سلسلة دراسات أدبية



فن الرواية
يتجلى في قصة يوسف عليه السلام

تأليف ودراسة : سعود بن مسفر العبدالله

السعودية- الرياض
١٤٤٠هـ - ٢٠٢٠م

فن الرواية يتجلى في قصة يوسف عليه السلام
تأليف ودراسة سعود بن مسفر العبدالله

فن الروايـة
يتجلى في قصة يوسف عليه السلام

دراسة تحليلية معمقة

تأليف ودراسة : سعود مسفر خالد العبدالله

١٤٤١-٢٠٢٠

يسعى هذا البحث التحليلي للكشف عن تأسيس الرواية العالمية بناء على قصة يوسف عليه السلام المسماة "أحسن القصص" وأنها النموذج المناسب لجميع الذوق العالمي .

ⓒ سعود مسفر العبدالله ، ١٤٤١هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

العبدالله ، سعود مسفر خالد
فن الرواية يتجلى في قصة يوسف عليه السلام. / سعود مسفر خالد العبدالله .- الرياض ، ١٤٤١هـ
٧٧ ص ؛ ..سم

ردمك: ٠-٣٨٨٧-٠٣-٦٠٣-٩٧٨

١- قصص القرآن ٢- يوسف (عليه الصلاة و السلام) 3- قصص الأنبياء - نقد أ. العنوان
ديوي ٨١٢,٠٨٠٨ ١٤٤١/٨١١٣

رقم الإيداع: ١٤٤١/٨١١٣
ردمك: ٠-٣٨٨٧-٠٣-٦٠٣-٩٧٨

بسم الله الرحمن الرحيم

الفهرس العام

بين يدي الكتاب

تقوم الدراسات في مجال الأدب المقارن على أحد مدخلين :

الأول: هو دراسة كيفية قيام العلاقات بين أدبين أو أكثر ، وهو ما يسميه كاريه : علاقات بالوقائع.

أما الثاني : فهو دراسة أوجه الشبه بين أدبين أو أكثر أو بمعنى أوضح بين عملين ينتميان إلى أدبين قوميين أو أكثر[١].

فإذا اتسع المجال خارج نطاق أدبين ليشمل ما هو أكثر منهما فإن المدرسة الفرنسية تخرج الدراسة من مجال الأدب المقارن إلى مجال الأدب العام (Litterature Generale)[٢]

سيزا قاسم

[١] بناء الرواية ، سيزا قاسم ط ٢٠٠٤ مكتبة الأسرة (مهرجان القراءة للجميع) ص٩.
[٢] بناء الرواية ، سيزا قاسم ط ٢٠٠٤ مكتبة الأسرة (مهرجان القراءة للجميع) ص١٠.

المقدمة

القصة أسلوب شيق محبب من أساليب التواصل البشري يحوي بين جنبيه تصويراً لحادثة، أو أكثر وتجسيداً لشخصياتها، وممتزجاً بعناصر تؤثر في بنائه، أو في مضمونه، أو فيهما معاً، وقد كانت لي جولة جيدة في مجال القصة والرواية وإعداد الدراسات النقدية والتحليلية حولها وتهيئتها للنشر، ثم خضت تجربة جديدة في قراءة واستماع ومشاهدة القصة العالمية في العديد من الثقافات المختلفة شرقاً وغرباً، ووجدت تطابقاً في البنائية بشكل كبير بينما المفارقات تكون في الموضوعات والأهداف فقط، كل ذلك اكسبني مهارة جيدة تدفعني إلى ما بعدها.

واليوم أقف على عتبات دراسة تحليلية جديدة متمثلةً في تحليل النسيج القصصي لـ(قصة يوسف) الموسومة بأنها أحسن القصص حسب النص القرآني الكريم، عكفت على قراءتها وسماع نصها مراراً والتأمل والتوقف عند كل ما استوقفني منها، و أتواصل مع بعض المهتمين بهذا المجال لمناقشتهم في بعض ما يعرض لي خلال القراءة والاستماع، ثم قرأت جملة من الدراسات حولها منها ما هو شرعي، ومنها ما هو أدبي، ومنها ما هو غير ذلك حتى امتلأت نفسي من ذلك وبتُّ مستعداً للدراسة والتحليل فحبست نفسي عن الكتابة شهراً بهدف السفر والسياحة، وبهدف التخلص من لوثة النقل المباشر ومحاولة العناية بالتركيز على التحليل والاستنتاج فقط، والآن، وقد شرعت في الدراسة التحليلية ، راجياً الله أن يعينني على استكمال ما بدأت. فلا يخفى أن القصة من أكثر الفنون استعصاء على التنظير والتأطير الشكليين ، إلى الحد الذي أدى لشيوع القول بأن كل قصة هي تجربة جديدة في التكنيك، وأن الأحكام التي يصوغها النقاد والدارسون تظل نسبية[1].

وهذه الدراسة ستسهم بإذن الله في معالجة إشكالية عميقة ألا وهي: **هل قصة يوسف قصة أم رواية؟** ، ومحاولة إثبات ذلك بالتحليل الفني المعمق للبناء والمضمون بتطبيق معايير القصة ومعايير الرواية في العصر الحديث عليها للوصول لنتيجة علمية ، لأنها لو كانت رواية فستكون هي تأسيس الرواية المبكرة في العالم، ثم ستعمل الدراسة على حل إشكالية المراهنة على التحدي بأنها

[1] الشنطي محمد صالح، القصة القصيرة المعاصرة ، دار المريخ١٤٠٧، ط١، ص١٧.

أحسن القصص باستخراج مكامن الحُسْن والجمال فيها لتوسم بأنها أحسن القصص مما يتطلب توظيف التحليل الفني والموضوعي على نحو يسهم في تجلية ذلك، ويرسم الأطر، ويرصد التسميات ويبرز جمال المضامين والبناء، ليظهر سر التميز الكامن في بواطنها مجسداً للعيان. وستجيب الدراسة على ما يلي:

١- هل قصة يوسف في القرآن قصة أم رواية؟ وما إثباتات ذلك؟
٢- ما عناصر ومكونات البناء الفني التفصيلية لقصة يوسف الداعمة لكونها قصة أم رواية؟
٣- ما عناصر الموضوعات والمضامين التي عالجتها قصة يوسف الداعمة لكونها قصة أم رواية؟
٤- ما المعالم الجمالية في قصة يوسف لتراهن على أنها أحسن القصص مقارنة بالقصة العالمية البشريةً؟

وهذا ما تسعى الدراسة لإثباته من خلال دراستها التحليلية المعمقة، ونرجو أن نقدم للعلم والأدب مادة علمية ترتقي إلى ذلك والله الموفق لكل خير.

وتعتمد هيكلة الدراسة على مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة وفق ما يلي:

- المقدمة.
- مدخل.
- **الفصل الأول: البناء الفني في قصة يوسف.**
- المبحث الأول: بنية العناصر السردية.
- المبحث الثاني: بنية المكون اللغوي.
- المبحث الثالث: شعرية اللغة النصية.
- المبحث الرابع: التقنيات التعبيرية.
- المبحث الخامس: المكون البيئي (المحلية، التقليدية، الدولية، فضاء الزمان والمكان، الفضاء السردي، الفضاء السماوي الخارجي).

- المبحث السادس: تداخل الأجناس (الصياغة المسرحية ، المشاهد السينمائية، فن زوايا التصوير ولقطات الكاميرا).
- **الفصل الثاني: البناء الموضوعي في قصة يوسف**
- المبحث الأول: تناول القضايا المحلية، والإقليمية، والدولية.
- المبحث الثاني: تناول المضامين النفسية والذاتية.
- المبحث الثالث: تناول المضامين العلمية الحديثة (التربية وعلم الاجتماع وعلم التخطيط والاقتصاد).
- المبحث الرابع: تناول المضامين الغيبية والمستقبلية.
- **الفصل الثالث: معالم الجمال والتميز في هذه القصة مقارنة بالقصة العالمية البشرية.**
- الخاتمة: أبرز النتائج التي وقف عليها البحث.
- المصادر والمراجع.

المدخل

أنواع القصة

الفرق بين القصة والرواية

تمهيد

أنواع القصة :

كلنا يعرف أن للقصة أنواعاً وأشكالاً مختلفة ، منها القصة المطولة "الرواية" والقصة المتوسطة " ويمكن إدخالها في نطاق الرواية" والقصة القصيرة[1].

تعريف الرواية والقصة القصيرة:

✎ **الرواية هي:**

نص أدبي طويل وقصة مكوّنة من سلسلة كبيرة من الأحداث التي تنقسم إلى عدّة فصول قد تكون مرقّمة، وتحتوي على عدد كبير غير محدّد من الشخصيات الرئيسية وأخرى ثانوية مرتبطة بالرئيسية تظهر وتختفي بين الحين والآخر، ويُطلق على كاتب الرواية اسم "روائيّ"،، فهو يستغرق سنوات عدة لإتمام كتابة روايته، ويضيف إليها الشخصيات التي يريدها، ويبني الذروة التي يراها مناسبة، ويستخدم إبداعه في ربط الأحداث التي تبني القصة، ويمكن أن تصنّف الرواية إلى إحدى المواضيع الآتية:: التاريخي، والعاطفي، والنفسي، والأخلاقي، والمهني، والرسائلي، والديني، والغموض والإثارة، والخيال، وغيرها الكثير.

✎ **القصة يمكن تعريفها:**

بأنّها نص أدبي قصير تدور أحداثها حول حدث رئيسي وأحد يسرده عدد قليل من الشخصيات، ويستطيع القارئ أن يتذكر كافة شخصيات القصة مقارنةً بالرواية، ومع ذلك فإنّها تحتاج إلى الكثير من الجهد كي يتم إنجازها في فترة قصيرة، ويكون هدف الكاتب من قصته هو إيصال رسالة معينة للقرّاء، ممّا يقيّد أحداث قصته مع عدم الإطالة في سردها كي تصل رسالته إلى الجمهور، بخلاف الرواية التي يحتاج فيها الروائيّ لسنوات عدة كي ينجزها، ومن الجدير بالذكر أنّه يُطلق على كاتب القصة اسم "كاتب قصة قصيرة".

الفرق بين الرواية والقصة القصيرة:

---
[1] القباني حسين ، فن كتابة القصة، دار الجيل ، بيروت ، ط١، ص٨.

فالرواية تهتم بالتفاصيل الدقيقة بوجه عام ، وتتعدد فيها الشخصيات والحوادث والمواقف، ومجال الإسهاب فيها وتضمين أكبر عدد ممكن من الأفكار والآراء متسع بلا نهاية. بينما القصة القصيرة تدور في نطاق حادث أو عدد بسيط من الأحداث التي تركز ضوءا قويا على فكرة أو هدف أو شخصية أو حافز...، إنها ومضة ضوء مركزة على شيء خاص ، وعلى الجملة إنها مزيج قوي من الشخصية والحافز والحدث[1].

ولمحاولة التقرير والحكم مبدئياً على قصة يوسف في القرآن هل هي رواية أم قصة سنجمع ونحصر جملة من الدلائل والإثباتات المبدئية التي تساعدنا على بناء فرضية أولية ننطلق منها في أعماق البحث والتحليل الذي ينير لنا معالم النتيجة النهائية المدعمة بالكشف والتحليل المعمق واستخلاص ذلك في نهاية الدراسة.

والآن نضع ما لدينا من إثباتات ودلائل لبناء الافتراضية الأُوْلَى، سنضع في الشكل التالي العناصر الافتراضية المكونة للرواية والعناصر المكونة للقصة ونختبر توافرها في نص قصة يوسف لاستخلاص الإجابة مبدئياً هل نستخدم معها تحليل القصة، أو تحليل الرواية:

العناصر والمكونات	القصة	الرواية
حجم النص الأدبي في قصة يوسف طويل	لا يتطابق مع القصة لأنها مقيدة بالقصر والإيجاز.	يتطابق مع الرواية لأنها تتسم بالطول عادة، فلا تقل عادة عن مراحل وفصول.
قصة يوسف مكونة من سلسلة من الأحداث زادت على ٣٥ حدثاً صريحاً وتنقسم إلى معالجتها في فصول ومراحل.	لا يتطابق مع القصة لأنها مقيدة بحدث رئيسي وصراع داعم له (وحدة الحدث).	يتطابق مع الرواية لأنها تتسم بسلسلة كبيرة من الأحداث تربط بينها حبكة الرواية.
قصة يوسف تحتوي ٣٨ شخصية رئيسية وثانوية	لا يتطابق مع القصة لأنها مقيدة بمحدودية	يتطابق مع الرواية لأنها تتسم بكثرة الشخصيات الرئيسية

[1] قباني حسين ، فن كتابة القصة ، ط١، ص١٢.

وذكرت اسمه ٢٥ مرة.	الشخصيات.	والثانوية.
قصة يوسف تعالج جملة من الأفكار والأهداف المتنوعة بين رئيسية وثانوية.	لا يتطابق مع القصة لأنها مقيدة برسالة معينة تحاول إيصالها للقراء.	يتطابق مع الرواية لأنها تتسم بكثرة الرسائل وأفكارها وأهدافها تبعاً لكل مرحلة.
قصة يوسف متغايرة من حيث الانطباع بحسب مراحلها وفصولها وظروف كل مرحلة.	لا يتطابق مع القصة لأنها ملتزمة بوحدة الانطباع بالخروج منها بالقبول أو الرفض.	يتطابق مع الرواية لأنها لا تلتزم بوحدة الانطباع، و أنها تتعدد فيها الأثار والانطباعات وفقاً لكل مرحلة وفصل على حدة.
قصة يوسف تتنوع فيها البيئة ومكوناتها الزمانية والمكانية التي تنقل القصة من حال إلى حال بتغييرات جذرية.	لا يتطابق مع القصة لأنها ملتزمة بوحدة الزمان والمكان.	يتطابق مع الرواية لأنها تقبل التعدد في الأحداث التي تستوجب التعدد والتنوع في البيئات المكانية والزمانية.
قصة يوسف بناؤها الفني متعدد العناصر كثير الأدوات والتقنيات	لا يتطابق مع القصة لأنها محدودة البناء فنياً يقيدها حجمها الصغير بمراعاة وضوح البداية والوسط والنهاية.	يتطابق مع الرواية لأنها فضفاضة في حرية البناء الفني عناصره وتقنياته شريطة العناية والجودة.
النتيجة المبدئية	لا يتطابق مع معايير القصة	يتطابق مع معايير الرواية

من خلال التحليل الموجز السابق يتشكل لدينا الافتراض المبدئي بأن قصة يوسف في القرآن، إنما هي تأسيس للرواية وفق المعايير الحديثة وأنها ليست قصة قصيرة، وليست في معدل ومكونات القصة العادية، بل إن مكوناتها وعناصرها البنائية والموضوعية تجعلها في تصنيف الرواية مباشرة، وإن لم تكن رواية وليست قصة وفق المعايير الحديثة ، فماذا ستكون إذن؟ . وحتى لا نقف عند ذلك سننعم في إجراء التحليل المستفيض حول البناء الفني والموضوعي لتجلية الحقيقة.

التحليل العام للرواية:

- **المؤلف (الروائي)**: النص القصصي هو كلام رباني من الله تعالى كما نؤمن به، نحن كمسلمين، وكما شهدت به الأمم والديانات الأخرى، ومن عظمة هذا الكلام الرباني أنه جمع فنون القص وجمالات المعاني والدلالات في هذا النموذج البنائي، لينمي الذائقة البشرية إلى أعلى المستويات في النص عموماً والقصة خصوصاً، فجاءت القصة على منتهى ما يمكن أن يبلغه العقل البشرية من قص المشاهد وتصويرها من الزاوية السماوية العلوية التي تراقب كل شيء، وكل مكان وكل زمان، وهذا ما تسير عليه السينما في العصر الحديث، فالتصوير العلوي لتجاوز الفضاءات والأزمان، بخلاف الزوايا الأخرى التي ترى من جهة وتخفى عليها الجهة الأخرى، هذه الرؤيا السماوية كانت تخترق الأزمان وتخترق الأماكن في وقت وأحد وتمزج الأحداث والشخصيات، هذا البناء والنص الرباني الفريد حاول الإنسان المعاصر الاقتراب من محيطه عبر ما يسمى في العصر الحديث بالتقنية السينمائية، ولازال يحاول أن يطورها، لكنها في هذا البناء جاءت على أكمل وأبهى حلة وشمولية. لذلك، فإن المؤلف سماها أحسن القصص إشارة فيها التحدي لمن يرغب التقليد والمماثلة. .

- **ملخص الرواية**: لقد جاءت الرواية في الحد الأدنى من حجم الرواية ،مستوفية لكل مكوناتها وعناصرها،عظيمة المعاني والدلالة تقع في صفحات عددها بحسب طبعة مصحف المدينة المنورة الملكية بعدد (١٢) صفحة وربع الصفحة، وبعدد(١٨٥) سطراً، وبعدد آيات قرآنية (١١١) آية كريمة، هذا الحجم القصير للرواية القرآنية جاءت بأسلوبها الواقعي لتحكي قصة يوسف الغلام الصغير، وكيف اكتشفه والده بأنه حامل ميراث جده إبراهيم من خلال الرؤيا التي رآها وقصها عليه، مما جعله يحيطه بكنفه ورعايته الخاصة حباً فيه وخوفاً على الميراث العظيم لسلالة إبراهيم المرتبط بهذا الغلام، إلا أن إخوان يوسف غير الأشقاء يمكرون به ويبعدوه لأقاليم أخرى بخطة ماكرة تحقق مصالحهم الضيقة وتحقق مصالح غيرهم العظيمة، تقلب

خلالها بين يدي لصوص القوافل حتى باعوه ظلماً لعزيز مصر وهناك بدأت رحلة الصعود للحياة العالية حتى صار رجلاً ناضجاً ثم يحصل له ابتلاء جديد بمراودة زوجة العزيز ولم تنجح ثم تجمعت عليه النسوة ويخططون ضده لتكرار المراودة لكنه دعا الله بالخلاص فانتشرت الشائعات وخافوا الفضيحة فسجنوه؛ خلال هذه الأحداث تكشف القصة عن معاناة الأب يعقوب من، فقد ابنه يوسف وقسوة أبنائه عليه كلما تذكره رغم بعده عنه منذ سنوات، ومن جهة أخرى للرواية بدأت حياة الدعوة خلال بقائه في السجن، وممن تأثروا بدعوته أحد السجناء الذين خرجوا من السجن وتحولوا في سقاية الملك، وهنا جاء الفرج بعد سنوات، حيث يرى الملك رؤيا ويعجز الناس عن تفسيرها وهنا يتذكرون يوسف، فيذهبون له في السجن، ويقدم لهم تعبير الرؤيا الذي فيه سرُّ نجاة مصر من كارثة اقتصادية قادمة، فيطلبه الملك وزيراً وصاحباً له بعدما حقق طلب يوسف في التحقيق مع النسوة في أمر المراودة قبل سنوات وتكشفت الحقيقة بأن يوسف كان عفيفاً وأن البلاء كان في النسوة، ويتولى يوسف عرش الاقتصاد في مملكة مصر وينجح ويتفوق في حماية مصر من الكارثة الاقتصادية بل كان الإنتاج يكفي لحماية الدول والقبائل المجاورة، وكان ممن جاء يطلب الإغاثة والطعام إخوانه فعرفهم ولم يكشف نفسه لهم لكنه أراد أن يعاقبهم على فعلهم القديم بشيء من المشقة والتعب وبدأت بينه وبينهم أحداث تتصاعد حتى ضاقت عليهم الأمور وجاؤوا له خاضعين فكشف لهم عن نفسه مما زاد عليهم الألم والخضوع، ويبعث معهم علاجا يشفي العمى في عيون والده من الحزن، ومؤخرا يلتقي بأبويه ويرفعهما على العرش، ثم يتوجه إلى الله يسأله الملك الخالد عنده في الجنة. .

- **الظروف المصاحبة لرواية القصة:** (السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والاتجاهات الفكرية) كما تشير أسباب النزول إلى أن هذه القصة الروائية نزلت في (مكة) على رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم في فترة اضطراب شديدة ألقت على صدره بأثقال الحزن والقلق والشعور بالوحدة الفكرية، فكان هو الرجل الوحيد

في عقيدته وفي ديانته في مواجهة قبيلة كاملة تخالفه الاعتقاد والديانة وتحارب كل من سلك طريقه، فعلوا به ذلك نتيجة وفاة عمه أبو طالب سنده في الحماية والوجاهة في مكة سياسياً أمام القبائل وأمام قريش، ووفاة زوجته خديجة بن خويلد سنده النفسي والروحي والاقتصادي في تلك الفترة، في وقت يفقد اقوى سند له في مكة ويواجه سلطة القبيلة قريش بالاعتداء تارة وبالحملة الإعلامية تارة وبالمقاطعة تارة أخرى، حتى خططوا لقتله فكانت الحياة الاجتماعية من حوله مظلمة سوداء من جميع الجهات. هذه الأجواء الخانقة جعلت رسول الله محمد يعيش في آتون العزلة والاضطهاد ويتشوف الفرج، فجاءت هذه القصة الروائية لتضعه في مواجهة شخصية مماثلة لموقفه لكنها أشد عنفاً وأطول عمراً منذ الطفولة وحتى الرجولة زادت على خمسة وأربعين سنة من المحن والبلايا حتى جاء الفرج، لتبعث برسالتها اصبر فثمت فرج سيأتي من حيث لا تحتسب، ولو كان فيه إخراجك من أرضك ومفارقة أهلك إلى قوة أنت فيهم غريب، فهذه الإشارة تقول بأنه في تلك الغربة سيخرج النصر والفرج الكبير.

- **الهدف الرئيسي للقصة:** كانت الرسالة الربانية واضحة تماماً في قول يعقوب ليوسف: بأن الله سيجتبيك ويعلمك من تأويل الأحاديث ويتم نعمته عليك، وعلى آل يعقوب كما أتمها على أبويك من قبل إبراهيم وإسحاق، هذه الرسالة وفي هذا التوقيت يراد منها نفسها بأنك يا محمد من سلالة إسماعيل ابن إبراهيم سيجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الأحاديث ويتم نعمته عليك، وعلى محمد كما أتمها على أبويك من قبل إسماعيل وإبراهيم. فكانت الرواية القصصية بشارة عظيمة وتفريج كبير يتطلب الصبر الجميل.

العناصر التي استخدمها المؤلف لتحقيق وتجسيد هدفه: لقد كانت مآلات القصة لا يستوعبها العقل ولا يحيط بها العلم، رغم أن القصة تقدس العلم وتدعوا إليه وصرحت به في أكثر من (٣٠) مرة في هذه القصة، مع ذلك خلقت التحدي بين العلم والعقل

وبين هبة الله بالعلم الغيبي في مصير الطفل، وفي الحصول على الملك والعلم والعز والسيادة، وفي حصول الخضوع من الخصوم كلهم فخضع الإخوة وامرأة العزيز والنسوة وحاشية الملك، وكان الحدث المشهود في جميع الأمة حدث الإنقاذ من الكارثة الاقتصادية التي شهدت بها الأَرْض وأهلها في تطور لم يكن يقدر عليه العلم وحده لولا هبة الله باليقظة المبكرة وفن الحفظ والتخزين والحماية والادخار. ولذلك كررت القصة كلمات الغيب والتأويل والبحث عن بواطن الأمور والأشياء بشكل ملفت، بل كان الناس في ذلك العصر يبحثون في غيبيات المستقبل من خلال المنامات وسؤال العرافين ومن يدعون معرفة المغيبات بل شاهد كثرة السائلين عن المنامات وشاهد كثرة حوادث التفرس وقراءة الشخصيات حتى من إخوة يوسف ومن عزيز مصر ومن النسوة ومن الفتيان في السجن ومن الملك نفسه. هذه الحقيقة في ذلك الزمان كانت موجودة رغم العلم والتعليم لديهم. لقد جاءت العناصر هنا عن غيبيات الكواكب وعلاقتها بالشمس والقمر، وجاءت بالقميص علاج العيون المصابة بالعمى، وجاءت بحديث يوسف عن الطعام في السجن قبل أن يصل إليهم، كل تلك الإشارات لم يكن العقل ليستوعبها أو العلم ليحيط بها، فكان الغيب وهبة الله تفوق ذلك، وهذا يتناسب مع قوله ذلك من أبناء الغيب.

- **الربط بين الهدف الرئيسي للقصة والمؤلف**: لقد أخبرت القصة الروائية عن مراد الله تعالى في التسليم له والتوكل عليه والانقياد لأمره فثم الخير معها ولو لم يستوعب ذلك العقل البشري، فالمقادير والمستقبل من الله وحده فقط، وهذا ما يريد الله أن يغرسه في نفس نبيه محمد كما غرسه من قبل في نفس آبائه وفي نفس يوسف وآبائه أيضاً.

- **تصنيف القصة الروائية:**

لدينا في العصر الحديث الكثير من المدارس الأدبية، التي تختلف مشاربها وجذورها من مدرسة إلى أخرى، ما بين تقليدية وواقعية أو عاطفية رومانسية أو فلسفية عقلانية، أو ذاتية حداثية أو متشظية ما بعد الحداثة، ونحن هنا في هذه القصة

الروائية نحاول تصنيفها وفقاً لهذه المدارس ليساعدنا أثناء التحليل التفصيلي واستنتاج النتائج، فكانت ملامح هذه القصة لا يمكن نسبتها بالكامل إلى مدرسة واحدة، فهي تأخذ من كل مدرسة بعضاً من مميزاتها، وتمزجه مع مكوناتها، فجاءت هذه القصة الروائية مزيجاً من تلك المكونات لتعلن لنا أنها فوق تلك المدارس كلها، هذا الحكم المبكر وضعته هنا في الدراسة العامة رغبة أن ينتبه له القارئ فيساعد في حكمه القادم لنصل بهذا البحث الفردي إلى رأي جماعي أقوى وأميز تحليلاً ونقداً، وقد بنيت هذا الرأي حول القصة من معطيات أذكر منها هنا جزءاً وأذكر البقية في أثناء التحليل التفصيلي في موضعه.

التحليل التفصيلي للرواية

الفصل الأول

البناء الفني

التحليل التفصيلي للرواية:

- **الفصل الأول: البناء الفني:**

البناء الفني للقصة بشكل عام يقصد به أدبياً ونقدياً: تلك العناصر والمكونات الرئيسية للعمل القصصي[1]، فمنها ما هو بناء تقليدي (يعتمد في عناصره على الفكرة والحدث والشخصية والمغزى ولحظة التنوير واللغة والأسلوب والبيئة والحقيقة الفنية)ومنها ما هو بناء حداثي(يعتمد في تكوينه على وحدة الانطباع ولحظة الاكتشاف والإيقاع العام ولغة القصة) [2]، ولا يخلو عمل قصصي بشري من تلك المكونات كلها أو بعضها، ومن خلال التحليل لقصة يوسف ومكوناتها البنائية اتضح أن القصة تقوم على النمط البنائي السينمائي الذي يركز على الأحداث السريعة والانتقالية السريعة واستخدام الشخصيات الرئيسة الدائمة والشخصيات الرئيسة المتشظية التي تذهب لنهايات مفتوحة، الطريقة السينمائية هذه تؤثر على البناء الفني في استيفاء عناصره البنائية وتركيزها وفقاً لذلك على نحو ما سنقف عليه، كما أن الطريقة السينمائية هذه جعلت مشاهد القصة تأتي على مراحل ثلاث: الأُوْلَى من طفولة البادية حتى الاختطاف، والثانية من رعاية عزيز مصر حتى السجن، والثالثة: من ظلمات السجن حتى الملك ورفع الأبوين على العرش. هذه المراحل الثلاث والحركة السريعة خلالها جعلت الأحداث تتصاعد وفقا لكل مرحلة على استقلالية، وجعلت اللغة تتصاعد وفقا لكل مرحلة كذلك على استقلالية، وفقا لما سنبينه فيما يلي:

- المبحث الأول: بنية العناصر السردية:

يقوم التشكيل السردي والتجويد الوصفي على مكونات أساسية ضرورية أربعة هي: اللون، والمادة، والضوء، وزاوية الرؤية، فبمقدار براعة صانع النص في تجويد هذا التشكيل يتمايز السرد ويتسامى وعكس ذلك كذلك، وسنحاول من خلال هذه الدراسة والتحليل الوصول إلى نتيجة تلك المكونات على التشكيل السردي.

---

١ عبد الحميد عبدالعزيز، القصة القصيرة، مقالة منشورة في موقع المظلة الإلكتروني بعنوان إبداع ونقد.

٢ الشنطي محمد صالح ، فن التحرير العربي، دار الأندلس، حائل ط٦، ١٤٢٤، ص١٨٥. بتصرف.

فاللون مهم جداً في بيان أثر العمق والسطحية تجاه الأشياء فتركيز الألوان في الوصف السردي لا يأتي عبثاً بل يهدف لتحقيق مقصد حيوي عند الشخصيات أو غير ذلك، واللون الباهت الشاحب قد يستهدف الانسحاق والتلاشي والبؤس، وغير الواقعية في مزج الألوان قد يهدف لصناعة الواقع الافتراضي والخيال العلمي والخرافة.

والمادة تُعنى ببيان تعاطي الشخصيات ونظرتها تجاه الأشياء ببيان معدل صلابتها أو مرونتها أو لزوجتها وأثر ذلك نفسياً على الشخصيات وعلى الأحداث، فكلما تصلبت الأشياء قدمت لنا دلالة على القساوة والمعاناة، وكلما ساحت الأشياء وصارت لزجة أثارت انطباع التفسخ والرخاوة، وكلما جاءت الأشياء على طبيعتها كلما اقتربت من الاعتدال والواقعية.

والضوء يُعنى بالربط بين الألوان وبين المواد، فقوة الضوء وتركيزه على الأشياء يبعث وضوح الرؤية ووضوح الأشخاص وإمكانية مراقبة الحدث جيداً، والانطباع بنتيجة الحدث بعد ذلك لاحقاً، والإضاءة الخافتة تبعث القلق والريبة من أحدث السطو والجريمة والاضطراب، أو تبعث التلاشي والعزلة وللشخصيات المحبطة، أو تجسد المناطق المنعزلة والمهجورة كالكهوف والحصون والسراديب وغيرها، والإضاءة المعتدلة تبعث الواقعية والإضاءة على خلاف الواقع تبعث الخيال العلمي والخرافة، وتكمن مهارة صانع النص في تسليط الضوء من الناحية التي يحتاجها السرد وتركيزه لا ما يشتت السرد، وذلك وفقاً لسير صناعة النص.

وأما زاوية الرؤية فهي تلك الزاوية التي يريدك النص أن تشاهد من ناحيتها فقط، ولو كانت الرؤية ترصد بكاميرا تصويرية وشاشة فلن تشاهد أكثر من تلك الزاوية المستهدفة، لذلك يأتي النص بزاوية الرؤية من الجهة الأمام أو من جهة الخلف أو جهة الجانب الأيمن أو الأيسر أو من الجهة السفلية أو العلوية، لأنه لا يريد نظرك أن يتجاوز ذلك وفقاً لحاجة القصة وشخصياتها وأحداثها.

تلك المكونات الأربعة سنسلط التركيز عليها في دراستنا لقصة يوسف عليه السلام وأثرها على شخصياتها وأحداثها وهو ما نسعى لتجليته في العناصر التالية:

١) **الحوار**[(١)]:

وظف النص القرآني الحوار في قصة يوسف عليه السلام بشكل شيق جميل رغم كثرة وروده وكثرة نماذجه ليكون هو وسيلة الربط بين الأحداث وشخصياتها فالحوار يقوم بتشكيل الحدث وتجسيده ويتيح للشخصية الحركة في ذلك التجسيد ويلبسها إيها لنتوصل لحقيقة الشخصية من خلال الحدث والحوار النتاج عنه، فقد استخدم النص القرآني أكثر (٣٩) نصاً حوارياً في مساحة (١٠٢) آية تنتهي فيها القصة كاملة فقط ولم تنته السورة نفسها من سرد توجيهاتها وأحكامها التي استكملتها من الآية (١٠٣)، فكأن الحوار في قصة يوسف عليه السلام موجود بين كل عشر آيات، ومع ذلك تجد القارئ والمستمع لا يمل من هذا الحوار أبداً. وقد حاولت معرفة السرِ في ذلك فوجدت الحوار يتناول رقائق النفس ودواخل الذات البشرية فينشئ الحوار الرقة والعشق، وحوار الغيض والانتقام والحسد، وحوار الهيام والمراودة، وحوار الاخبات والخفاء والطهر، هذا من جانب نفسي، وحوارات أخرى تتناول جانباً أكثر تميزاً بتمثيل حوارات الملوك، وحوارات الأثرياء، وحوارات الفقراء، وحوارات الباعة وأصحاب المهن، وحوارات السجناء، والحوارات العائلية بل وأجمل من ذلك حوارات البادية والصحراء، وحوارات القصور والحدائق الغناء، وحوارات السجون الغرف المعتمة، والحوار البشري والحوار غير البشري، وسنقف عند كل حوار ونماذجه على حدة.

٢) **الحدث**[(٢)] : خالفت القصة النمط التقليدي في تصاعد الأحداث حتى العقدة فجعلت القصة على ثلاثة مراحل : (مرحلة الطفولة والبادية) وجعلت لها أحداث تبدأ ثم تتصاعد حتى العقدة ثم تأتي النهاية المفتوحة لهذه المرحلة ثم تنتقل للمرحلة الثانية (الطفولة في بيت العزيز حتى السجن) تبدأ بحدث ثم تتصاعد حتى العقدة ثم تأتي النهاية المفتوحة لهذه المرحلة ثم تنتقل للمرحلة الثالثة (من السجن إلى قمة الملك وصعود الأبوين على العرش)

---

(١) الحوار هو:(الأسلوب الذي يعرض من خلاله حديث الشخصيات مع بعضها أو عن نفسها) بتصرف ، وليام كيني ، كيف نحلل القصة ط١٤٣٢ ص١٥٥ ترجمة الحجيلان ناصر..

(٢) الحدث : هو تصوير الشخصيات أثناء عملها وتنفيذها للدور، والاحترافية أن تُمَكِّن الشخصية من تجلية وقوع الحدث وزمانه ومكانه وإلباسه التشويق والإثارة ذات معنى ، والأحداث تتنوع وتتعدد بين أحداث البداية والحدث الصاعد والحبكة والعقدة ولحظة التنويروالحدث النازل والنهاية .

وتبدأ بحدث ثم تتصاعد حتى العقدة ثم تأتي النهاية المفتوحة ختاماً للقصة كلها، وهذا النمط لم يكن معروفاً أو سائداً وقتذاك، كما أن القصة هنا استخدمت أكثر من (٣٥) حدثاً بارزاً وظفت لتنفيذه وتفعيله (٣٩) شخصية، منها شخصيات تشاركت في تنفيذ الحدث ومنها شخصيات انفردت بتنفيذه، هذه الأحداث كانت الوعاء الذي تحركت فيها الشخصيات وأدهشتنا بالنتيجة، وباستعراض تلك الأحداث ورصدها :

١) حدث يوسف عليه السلام يقص الرؤيا على ابيه.

٢) الأب يحذر يوسف عليه السلام ويحكي له تحليل المستقبل.

٣) إخوة يوسف عليه السلام يتناجون ويكشفون عن مشاعرهم النفسية وشيئاً من التدبير.

٤) إخوة يوسف عليه السلام يحتالون على أبيهم لأخذ يوسف عليه السلام.

٥) الخروج بيوسف عليه السلام وتطبيق مخطط الخطف والإخفاء.

٦) العودة عشاء يبكون لتزوير الحادثة بالذئب والقميص والدماء.

٧) وصول القافلة والاستيلاء على الغلام ورصده بضاعة للبيع.

٨) يوسف عليه السلام سلعة تباع في أسواق مصر.

٩) دخول يوسف عليه السلام بيت العزيز وسط الحضانة والرعاية.

١٠) التمكين الأول ليوسف عليه السلام ليتلقى الرعاية والعلوم والخبرة من عزيز مصر وزوجته.

١١) حادثة العشق المحرم والمراودة.

١٢) حادثة التحكيم وانكشاف المؤامرة على يوسف عليه السلام.

١٣) حادثة نسوة المدينة يشيعون الخبر.

١٤) حادثة ضيافة نسوة المدينة وتقطيع الأيدي والفتنة بيوسف عليه السلام.

١٥) حادثة الاستعداء واختيار السجن.

١٦) مسرح علاقة يوسف عليه السلام بالسجناء الآخرين.

١٧) تعزيز علاقاته بأحد السجناء لظنه أنه سينجو.

١٨) الملك يرى رؤيا إنقاذ مصر من المجاعة.

١٩) حادثة اجتماع الملك بالحاشية لتفسير الرؤيا.

٢٠) حادثة سعي الساقي لتفسير الرؤيا بين الملك ويوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ.

٢١) حادثة طلب يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ من الملك بحث قضية سجنه ظلما وكشف الحقيقة.

٢٢) التمكين الثاني الكبير ليوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ في معية الملك.

٢٣) حادثة تولي يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ مسؤولية الأزمة الاقتصادية وتطبيق خطة النجاة.

٢٤) قدوم إخوة يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ لشراء الطعام بسبب المجاعة.

٢٥) مراودة إخوة يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ لأبيهم يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ لأخذ الأخ الشقيق ليوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ.

٢٦) نصيحة الأب يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ لأولاده عند دخول مصر.

٢٧) مشهد اللقاء الأول بين يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ وأخيه.

٢٨) قصة سرقة سواع الملك.

٢٩) رجوع الأبناء إلى يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ بدون الأخ الكبير والأخ الصغير.

٣٠) بداية فقدان الأب يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ لبصره.

٣١) رحلة التحسس من يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ واقتراب الفرج.

٣٢) العودة بالبشرى وقميص الإبصار.

٣٣) رحلة سفر العائلة كاملة إلى مصر.

٣٤) اجتماع العائلة على بلاط الملك ورفع أبويه على العرش والسجود.

٣٥) خاتمة القصة اختيار يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ لجناب الله عوضاً عن البقاء في الملك.

هذه الأحداث الكثيرة المؤثرة لم تأتِ على مستوى واحد في الأثر أو على وتيرة واحدة التأثير بل تنوعت فتارة تأتي الأحداث بصيغة سردية تعتمد على ضمير الغائب، وتارة تأتي بصيغة الترجمة الذاتية وتتحدث بضمير الحاضر و الأنا، كالأحداث التي صورة جريمة الإخفاء في البئر، وجريمة المراودة في غرفة القصر، وحادثة سرقة سواع الملك، كله جاءت حكاية بضمير الغائب، بينما مناجاة حادثة الرؤيا الأولى ليوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ كلها جاءت بلغة الأنا والرد من الأب جاء بضمير الخطاب أنت، وتطمين يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ وهو في البئر

بالخلاص وإخبار إخوته بما فعلوه، ومناجاة يعقوب عليه السلام لربه وحكايته حاله، كما حصل تنويع في طريقة عرض الأحداث والمشاهد فالإطار العام جاء تقليدياً لقصة تبدأ من الصغر ثم تنمو بأحداثها حتى النهاية، وهذا جلي في نمو قصة يوسف عليه السلام وتسلسل أحداثها لكنها في طياتها تستخدم تقنيات حديثة متطورة في عرض جانب من القصة بطريقة الارتجاع الفني (الفلاش باك) تذكير يوسف عليه السلام أبويه عندما رفعهما على العرش بما الرؤيا القديمة، تذكير يوسف عليه السلام إخوته عندما جاؤوا يتحسسون من الملك ذكرهم بما فعلوا بيوسف عليه السلام عند البئر، فهذا الرجوع إلى الماضي يحدث ارتجاعاً فنياً بمزج الماضي في الحاضر، وإدخال مشاهد الطفولة في حاضر الكبر والملك، والعرض أيضاً بالطريقة الحديثة "التأزيم وعنصر المفاجأة" التي تحدث الصدمة والدهشة للقارئ من خلال مفاجأة التحول وصدمة الحدث غير المتوقع من الشخصيات وسمتها السابق فيعقوب عليه السلام الذي فسر الرؤيا لابنه يوسف عليه السلام كان عالماً بما سيحصل، ومرشداً ليوسف عليه السلام بالصبر، لكن مجريات الأحداث، وتأزمها وطول المدة احكمت سيطرتها على يعقوب عليه السلام وقلبه فبلغ عنق الزجاجة، فلما حدثت الحادثة الأخيرة في مصر وفقد الأخ الكبير والصغير الشقيق بطريقة مشابهة لفقد يوسف عليه السلام أحس يعقوب عليه السلام بأن الذي يخطط هناك هو يوسف عليه السلام لكن لم يكن له ليبوح بشيء لم يستوثق منه، لكن الأمل والتفاؤل نهض عنده فوق عنق الزجاجة فأصابه العمى من الحزن على ولده الذي سيراه قريباً فهو يشعر به فها هو يوسف عليه السلام يعالج إخوته ليطهرهم مما فعلوه والأب يعلم ويصمت.

فالإصابة بالعمى جعلت يوسف عليه السلام يكشف عن نفسه ويسارع بالمبادرة بلقاء أبيه.

والجميل هنا أن القصة جعلت أحداثها تسير في خطوط متوازية كلٌ في مساره القصصي وبيئته المناسبة لكنهم جميعاً يشتركون في الوقت نفسه فما يحصل في البادية من أحداث توازيها أحداث جسيمة مماثلة في قصور العزيز وسجونه ونسائه، فكأن أضواء الكاميرا تنقل لك مشهدين أو ثلاثة تتبلور في توقيت واحد رغم اختلاف البيئة والتباعد المكاني.

٣) **الشخصيات**(١) : تُبنى القصص عادة على نطاق محدود من الشخصيات حتى يسهل على القاص السيطرة على قيادة الشخصيات وتفعيلها وفقاً للأدوار المناطة بها، فشخصيات القصة الكلاسيكية تكون عادة محدودة وقليلة تلامس المحيط المدني أو المحيط الشعبي، بينما القصة الحداثية والرومانسية تدور غاليا حول عدد بسيط محدود من الشخصيات قد يصل في بعض الأحيان إلى شخصية واحدة تعالج دورها عبر التقنية التداعي، أما الشخصيات في هذه القصة (الرواية) فقد فاقت التصور عدداً وأدواراً بشكل انسجمت من جمال القصة وانسيابيتها حتى لا تكاد تشعر بهذه الكثرة، ولا تلحظ ذلك إلا بعد التدقيق والمراجعة، فقد رصدت في قصة يوسف عليه السلام ورود اسمه في القصة نفسها أكثر من (٢٥) مرة ثم ذكرت معه شخصيات متنوعة السمات والأدوار بلغت(٣٨)شخصية لم تذكر أسماءهم عدا إبراهيم وإسحاق، بل ذكرت أوصافهم أو ألقابهم أو المهنة التي يعملون بها بحسب حاجة الدور ونوعية الشخصية المختارة، وقد يتبادر في الأذهان : لماذا قصة يوسف عليه السلام كررت اسمه يوسف عليه السلام تصريحاً ولم تفصح عن أسماء الآخرين إلا تلميحاً أو وصفاً؟ الشخصيات بلغت عدداً (٣٨) شخصية ما بين (٣١) شخصية بشرية: (الأب يعقوب، إخوته، أخو يوسف الشقيق، الغلام، العزيز، النسوة، امرأة العزيز، الشاهد من أهلها، إبراهيم، إسحاق، واردهم، قال قائل منهم، فتيان، أحدهما، الآخر، يسقي ربه خمراً، الملك، السيارة، الرسول، فتيانه، شيخاً كبيراً، كبيرهم، أهل القرية، البشير، أبويه، البدو، الملأ، الذي اشتراه من مصر)، و(٧) **شخصيات غير بشرية** (الذئب، البقرات، السنبلات، الطير، القميص، السقاية، صواع الملك)، وهذه الشخصيات غير البشرية جاءت لتشابه صفات البشر في منعطفات القصة ، فالذئب والطير يوافق شخصيات الغدر والقتل والخطف،والسنبلات والبقر تشابه العطاء البشري ، والخمر والسقاية تشابه المترفين وأهل البذخ ، كلها تحملت

---

(١) الشخصية: فاعل يؤثر في الحدث تدور حوله بعض أجزاء من **القصة**، وتعد عملية بناء الشخصية في القصة بالغة الخطورة، لأنها تؤثر في بناء هيكل القصة ذاتها.

أدوارها في القصة بعرض جاذب لا تشعر بتزاحم الشخصيات ولا تنافر أدوارها بل اتساق وانسجام وتكامل في الأداء.

واللافت للنظر كون هذه **الشخصيات متعددة البيئات** وربما متضادة في الشكل والدور، جاءت لرسم ملامح العصر وفقاً لتلك البيئات: فمنها شخصيات من البادية، وشخصيات من المدينة، وشخصيات من المهن العليا، وشخصيات من العمالة والشخصيات الدنيا، وشخصيات تمثل السلطة الدينية وشخصيات تمثل السلطة الملكي، وشخصيات الترف واللهو وشخصيات الفقر والحبس والضيق، وشخصيات الطيبة المتناهية وشخصيات المكر والحقد والفساد، وشخصيات الحب الطاهر وشخصيات الحب الفاسد والشخصيات المحلية والشخصيات الدولية.

كما نلحظ أن **الشخصيات في القصة تنمو وتكبر** انسجاماً مع مراحل القصة، فيوسف عليه السلام الغلام تدرج في مراحل القصة ليخرج لنا يوسف عليه السلام العزيز الذي وهبه الله الملك وعلمه الحكمة، ويعقوب الأب تدرج من الأبوية والنشاط ثم الأب المكلوم الحزين ثم الأعمى حتى بلغ وصفه ﴿إِنَّ لَهُۥٓ أَبًا شَيۡخًا كَبِيرًا﴾[1].

وامرأة العزيز من الزوجة الصغيرة ثم الحاضنة ليوسف عليه السلام ثم الزوجة العاشقة ثم المدبرة، والمتسببة في السجن ثم الفضيحة في بلاط الملك بعد كبر سنها، وكذلك إخوة يوسف عليه السلام من العصبة وفتوة الشباب إلى المشقة والمعاناة في السفر والترحال والمسؤولية، ومؤخراً الضعف وسقوط الهمة، كذلك مجيء يعقوب عليه السلام وذريته وأهله من البدو إلى مصر صار خلية تنمو لينتشر بنو إسرائيل في مصر لاحقاً.

ولقد اتسعت طريقة عرض الشخصيات في القصة بين الطريقة التحليلية والطريقة التمثيلية، فالتحليلية سلطت عدسات الكاميرا لتصوير شخصياتها من الخارج من الأعلى تراقبهم وترسم ملامحه بينما التمثيلية منحت شخصياتها التعبير عن ذواتها ودواخلها وإبرازها فمثلا: شخصية الأب يعقوب عليه السلام تظهر لنا عبر التحليلية عندما يخبر النص

---

(١) سورة يوسف:٧٨.

عنه في جدلياته مع أبنائه، ويتجلى في الطريقة التمثيلية حينما يكون في خلواته الربانية ليتحدث عن دواخله ويبوح بكل شيء، وكذلك امرأة العزيز ظهرت أمام كاميرا التحليلية وهي تغلق الأبواب وتهاجم وتراود، وتجلت أمام التمثيلية وهي تصرح وتبوح وتبرز ما في نفسها علانية لتشكل صورتها الخفية علانية: ﴿قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ ۖ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ ۖ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴾ (١).

ولقد راوحت القصة بين **استعراض شخصياتها بالأبعاد المناسبة لذلك العرض، فاستعرضتهم بين البعد الجسدي والبعد النفسي والبعد الاجتماعي** فإخوة يوسف عليه السلام ظهروا لنا في مقاطع القصة بأبعاد مختلفة فمرة ظهروا بالبعد الجسدي عصبة وبئس شديد، وبالبعد النفسي يصرحون بالحسد والتخطيط للقتل أو الخطف والصورة السوداوية تجاه عاطفة الأب نحو أخيهم الصغير، والبعد الاجتماعي فقد ظهروا فقراء أمام عزيز مصر ليقولوا له: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِى ٱلْمُتَصَدِّقِينَ ﴾ (٢).

وصورة يوسف عليه السلام أخذت بعدًا جسدياً في تعظيم جماله وهيئته وفتنة الناس به، وبعداً نفسياً تجلى في معاناته من الحب المحرم والدعوة للرذيلة وطلبه للخلاص الإلهي من تلك المعاناة، وتجلى ظهوره في البعد الاجتماعي من حياة البدو إلى أحضان بيت العزيز إلى ظلمات السجن وأخيراً إلى أعالي درجات الملك.

إن هذا الكم من الشخصيات في القصة وتلك الكمية من المهمات والأدوار وجمال تأثيرها لتجعلنا نعيد النظر في كيفية بناء شخصيات القصة ومنحها الأدوار اللائقة دون تقييد العدد و منح الأدوار..

---

(١) سورة يوسف:٣٢.

(٢) سورة يوسف:٨٨.

٤) **الأسلوب**(١): البصمة التي يتعرف بها القراء على كاتب النص هي الأسلوب أو ما يسمى بالإيقاع العام، فلكل قاص أسلوبه المميز الذي يكشفه أمام القراء لاحترافه هذا النهج وشدة تأثيره في القراء والمتذوقين لذلك يكشفونه ولو استتر بأسماء مستعارة، فالقاص التقليدي يلتزم أنماطاً أسلوبية محددة منها:

(الأسلوب الرمزي، والجدلي، والتصويري، والتقريري الإخباري، وبراعة الاستهلال للمطالع والمقدمات، توجيه الحديث المباشر الصريح، استمرارية النمط الأسلوبي وفقاً للسببية)، بينما القاص الحداثي ينهج الأسلوب والنسق التجريبي الحديث والذي يتسم بـ (الخروج عن النسق الأسلوبي والإطار العام للقصة، هيمنة القاص بإغراق القصة بالهموم والوجودية والأزلية والخاصة، انتفاء الترتيب وتشابك الأحداث، الخروج عن المألوف، سيادة اللغة المتداعية والساخرة والجدلية على حساب بقية المكونات).

وبالنظرة التحليلية لقصة يوسف عليه السلام لمحاولة الوصول إلى نوع الأسلوب والنهج المستخدم هنا نجد الإيقاع العام للقصة ينتهج النسق التقليدي في معظم أنماطه ومنها:

- **فالأسلوب الرمزي** يشكل حضوراً جيداً داخل القصة ويبعث إليك بمعني وخيالات لم يحكها النص بينما أرادك أن تشعر بها دونما تصريح.

ومن ذلك: تعبيره عن﴿بَعۡضُ ٱلسَّيَّارَةِ ﴾ إشارة لكثرة القوافل التجارية وغيرها، وتعبيره بـ ﴿يَٰبُشۡرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٞۚ وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةٗۚ﴾ (٢)، تعبير عن كثرة الرقيق وسهولة استعباد الإنسان ما دام منفرداً، ﴿وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ﴾ (٣)، تعبير عن الاتساع العمراني، فالغرفة الواحدة مقسمة على مراحل مختلفة لكل مرحلة باب رغم كونها غرفة خاصة واحدة، وهذا الاتساع العمراني في البنايات يدل على كثرة المال والترف العمراني والعناية

---

(١) هو الكيفية التي تروى بها القصة، والكيفية التي تربط بها أجزاء القصة لتنتظم معك جسداً واحداً ، عناصره متجددة ومتغيرة وفقاً لإبداع الكاتب، لكن العناصر الأساسية المشتركة هي: (الأفكار، الصور ، العبارات) يغذي التوافق والانسجام لفظاً ومعنى، والأسلوب يكون تقليدياً ويكون نسقاً حداثياً جديداً..

(٢) سورة يوسف:١٩.

(٣) سورة يوسف:٢٣.

بالديكورات والتجميل، ﴿وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا وَءَاتَتْ كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا﴾ [1].تعبيراً عن طبيعة المجتمع في المبالغة الضيافة وحجم المساحة لكل ضيف في الجلوس المسترخي وخصوصية الأطباق ومحتوياتها، فالترف الكبير ظاهر في هذه الصورة المعبرة.

(**رؤيا الملك**) تضمنت تعبيراً عن امتلاك مصر منذ القديم مقومات الاقتصاد والزراعة مما يبعث الطمأنينة الاستثمارية في تلك المنطقة، كل هذه الصور تجلت في أسلوب رمزي مقتضب.

- **والأسلوب الجدلي والمنطقي** يتجلى في الحوار كثيراً فجدل إخوة يوسف عليه السلام المتكرر حول ضلال الأب في التفرقة بين الأبناء، ومجادلته في مقتل يوسف عليه السلام، وفي تذكر يوسف عليه السلام بعد الفقد الطويل، لقد تجلى في حوارات عائلية ويتجلى أيضاً في حوارات سيادية بين العزيز وزوجته والتحكيم فيما حصل من مراودة، والجدل بين الملك والحاشية حول الأضغاث والأحلام، والحديث المنطقي من الملك مع يوسف عليه السلام حول تفسير الرؤيا ومعالجة الأزمة القادمة ورغبته في استخلاصه لنفسه ليكون له معيناً.
- **والأسلوب التصويري والنفسي** يفيض في مواقف التأزم والمعاناة التي ظهر فيها الأب يعقوب عليه السلام وحيداً يشعر بوعد الله في وسط عصبة من الناس ترميه بالضلال القديم، يبرز التصوير النفسي في خلوات يعقوب عليه السلام مع ربه يناجيه ويشكو إليه، ومثله مناجاة يوسف عليه السلام ربه وحيداً لينقذه من فتنة النساء وكيدهن به، وتصوير استبداله ظلمات السجون وصحبة المسجونين والروائح النتنة والطعام الرديء في طاعة خيرٌ من أضواء القصور وجمال النساء مع العلاقة المحرمة والخيانة ولذيذ الطعام وعبق الرائحة، إن التصوير التمثيلي بين الحالتين ليثير لديك الدهشة والتعجب.
- **والأسلوب التقريري والإخباري** يتضح في الفواصل بين المشاهد ليقرر أحداثاً ومدلولاتها، فموقف يوسف عليه السلام مع إخوته عندما وضع صواع الملك، قال الله

(١) سورة يوسف:٣١.

تعالى: مخبراً يوسف عليه السلام بالغيب القادم تجاه هذا الموقف من إخوته: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ﴾ (١).

أي ستقف معهم نفس هذا الموقف وستخبرهم بما فعلوه، وفي قوله: ﴿كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِى دِينِ ٱلْمَلِكِ﴾ (٢) تقرير بما فعله يوسف عليه السلام وإقرار بحقه في ذلك، ومثله الأسلوب الإخباري عن تحقق وعد الله ليوسف عليه السلام في وصوله للتمكين الموعود فالأول في بيت العزيز والتمكين الثاني في بلاط الملك فقال تعالى في الموقف الأولى ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ﴾ (٣).

وقال في التمكين الثاني: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾﴾ (٤).

ومع تجلي الأنماط التقليدية في قصة يوسف عليه السلام إلا أنها تضمنت الأنماط الحداثية الأسلوبية ومن ذلك:

- التداعي النفسي والحنين إلى الماضي والشوق للغائب تجلى في مواقف متعددة من الأب يعقوب عليه السلام وشوقه وحنينه لابنه الغائب يوسف عليه السلام ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ (٥)، ﴿وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾﴾ (٦).

---

(١) سورة الحجر:٦٦.

(٢) سورة يوسف:٧٦.

(٣) سورة يوسف:٢١.

(٤) سورة يوسف:٥٦.

(٥) سورة يوسف:١٨.

(٦) سورة يوسف:٨٤.

- وفي موقف يوسف عليه السلام عندما رفع أبويه على العرش قال: ﴿هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا﴾[1]، وتتضح المعاناة أكثر في نفسية الشاب المتوقدة أمام مغريات لا يصمد أمامها إلا من عصمه الله، فهو يسلخ نفسه من التصاق العلاقة المحرمة به ومراودته ونفاذ صبره وشعوره بالضعف وانحلال قيوده نحوها فرفع يديه يناجي وحيداً يطلب النجاة: ﴿ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾[2].

فهو يتخيل ويتذكر هول ما شاهد من جمال وأجساد وإباحية وإغراء وتهديد ووعيد لو امتنع، وهذا الإغراء من علية القوم وساداتها، هذا الإقبال والالتصاق والضغط والتضييق يقابله هروب وفرار نحو الله في مساحات العفاف والخلاص.

- اللغة الفضفاضة السردية المعبرة عن مكنونات الشخصيات لتبرز لك طبيعتها ودواخلها الحقيقية فالأب يعقوب عليه السلام كان يبث التوحيد والإيمان في كل حواراته مع يوسف عليه السلام ﴿وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ﴾[3].

ومع إخوة يوسف عليه السلام: ﴿وَقَالَ يَٰبَنِىَّ لَا تَدْخُلُوا۟ مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ وَٱدْخُلُوا۟ مِنْ أَبْوَٰبٍ مُّتَفَرِّقَةٍ ۖ وَمَآ أُغْنِى عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾﴾[4]، وعند البوح والمناجاة ﴿فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ﴾[5].

وهذه اللغة الفضفاضة السردية مارسها يوسف عليه السلام في السجن مع السجناء عندما حصلت له مساحة جيدة أخذ يبوح فيها عن عقيدة التوحيد والإيمان بشكل مستفيض لم

(١) سورة يوسف:١٠٠.

(٢) سورة يوسف:٣٣.

(٣) سورة يوسف:٦.

(٤) سورة يوسف:٦٧.

(٥) سورة يوسف:٦٤.

يحصل معه في في مراحل سابقة إلا بإيجاز واختصار يتطلبه الموقف ﴿ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾[1].

- إن الخروج عن المألوف من سمات الحداثة الأسلوبية التي ظهرت في القصة في مواقف متعددة أضفت جمالية على الأسلوب ومن ذلك الالتحام بالشمس والقمر والكواكب الأحد عشر وتمثيلها بالأبوين والإخوة، والخروج عن المألوف في وجود سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف، والخروج عن المألوف في الطير تأكل الخبز فوق الرأس، والخروج عن المألوف في علاقة القميص بعودة الإبصار، والخروج عن المألوف في حمل الريح لرائحة يوسف عليه السلام من مسافة دولية بعيدة، والخروج عن المألوف في تعرف الأب يعقوب عليه السلام على الرائحة بعد أربعين سنة من الاختطاف وتغير البلد والملابس والطعام والبيئة والقماش وكل ما له علاقة بالرائحة لكنه عرفها ومن مسافة سفر دولية.
- الرمز الساخر والمتهكم: لم تخلُ القصة من رمزية السخرية والتهكم بحسب مقتضى الحال إلا أن القصة لم تمعن في ذلك، فقد جاء الرمز الساخر في قول إخوة يوسف عنه ﴿إِن يَسۡرِقۡ فَقَدۡ سَرَقَ أَخٞ لَّهُۥ مِن قَبۡلُۚ﴾ [2]، فتألم يوسف منها وقال: ﴿ قَالَ أَنتُمۡ شَرّٞ مَّكَانٗاۖ ﴾، ليرد عليهم الجواب الساخر بأنهم شرٌ ممن تتهمونه أصلاً، وقولهم عن أبيهم يعقوب ﴿ ضَلَٰلِكَ ٱلۡقَدِيمِ ﴾ [3] ﴿ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفۡسِهِۦۖ قَدۡ شَغَفَهَا حُبًّاۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾[4]، بينما هي حاولت الانتقام منهم بفضيحة وسخرية تناسب حقيقتهم الباطنة فجهزت لهن المكان والأجواء المناسبة ودخل عليهن يوسف مكرهاً ، فرأينه وقطعن أيديهن من الذهول والشغف فقالت ساخرة منهن ﴿فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِي لُمۡتُنَّنِي فِيهِۖ﴾ [5]، وأنتم سقطتم بسبب مشاهدته من

(١) سورة يوسف:٢٣.
(٢) [سورة يوسف:٧٧]
(٣) [سورة يوسف:٩٥]
(٤) [سورة يوسف:٣٠]
(٥) [سورة يوسف:٣٢]

الوهلة الأولى. إن التهكم والسخرية لم تأتي من الشخص الحكيم أصلاً كيعقوب والملك، ولم تأتِ من يوسف ابتداء بل جواباً على سخريتهم، لقد كانت السخرية تكثر في وسط الحمقى والجهلة وأصحاب الأهواء والمصالح الخاصة ، ولا يلجأ إليها الحكيم إلا ضرورة أو مقابلة لحالة واقعة أمامه، كما نلحظ أن الرمز الساخر لم يطغى في القصة ولم يظهر بشكل محسوس كغيره من الألوان والتقنيات الأسلوبية الحديثة.

- الخروج عن الإطار العام للأسلوب **بالجمع بين الأضداد** في المعاني والألفاظ، والصور والخيالات، ومسارات القصة المتوازية في وقت واحد وتشابك ما بينهما، فمن حيث الألفاظ والمعاني والأضداد فقد جعل الألفاظ المشهورة لمعاني محددة تتغير إلى معاني جديدة فمثلاً الألفاظ التي كانت تشير إلى اليأس والإحباط مؤشراً جديداً نحو التفاؤل واقتراب الفرج فعندما حبس يوسف عليه السلام في البئر جاءه الفرج من القافلة وعندما حبس في السجن جاءه فرج الملك فكان الحبس رمزا لاقتراب الفرج، والقميص رمزاً لكشف الحقيقة واقتراب البشرى والذئب رمزاً للتهمة الباطلة، والبكاء رمزاً للحيلة والكذب، والجرأة على الشكاية ورفع الصوت فيها رمزاً للشخص الخائن، ومن حيث الصور والخيالات فقد جمع بين أحداث البادية ولغتها وشخصياتها والمدينة ولغتها وشخصياتها، وجسد لنا أبرز معالم البادية بالكثرة والعصابة والصيد والتنافس وسرعة الشروع في الهجوم والقتل والحبس في البئر وحيوانات الصحراء، وفي المقابل جسد لنا معالم المدينة بالأسواق والتجار والعبيد والثراء والمهن والوظائف العليا للحاشية والوزراء والعزيز والملك والدنيا للحارس والساقي والفتية الخدم والسجناء والحبس في السجون المظلمة.

٥) **تقنية التداعي**(١): من سمات الكتابة الأدبية إتاحة مساحة لشخصياتها أن تبوح بدواخلها وتتكلم عن مشاعرها تجاه المحيط بها دون قيود، فتنثر الهموم الخاصة والمعاناة والمشاعر

---

(١) يعرف أيضاً بتقنية التداعي الحر عند علماء النفس، يقصد به ترك الحرية للمريض يستدعي الأفكار التي تمر بذاكرته وقت الاسترخاء دون قيود ، ولذلك تكون الأفكار غير مترابطة وحاملة عاطفية ، وهذه التقنية يستخدمها القاص في جعل دواخل الشخصية هي من تقوم بالدور في حين تلاشي الشخصية الحقيقية خلف الستار..

الخاصة لمحاولة تفريغ كل ما تختزنه من مشاعر، بل إن وصف الأشياء من انعكاساتها الداخلية يعطي إطلالة إلى بواطن عالم الشخصيات تلك وهذا أكثر إنسانية وأكثر حميمية من التوقف عند المحيط الخارجي فقط، هذه التقنية وردت في قصة يوسف عليه السلام لكنها كانت مقتضبة ومحدودة المساحة رغم تكررها في عدة مواضع ومن ذلك :

- الأب يعقوب عليه السلام وشوقه وحنينه لابنه الغائب يوسف عليه السلام ﴿وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾[1].

يصور الحدث هنا حدوث فيضانٍ وطوفان من المشاعر طغى على كل شيء الأمل موجود والمحبوب قد اقترب لقاؤه لكن الصبر نفذ والعمر كبر والعظم وهن فما كان من ذلك التداعي إلى أن طغى على عينيه فأصابهما بالعمى.

وتكررت لحظات التداعي عند الأب يعقوب عليه السلام في خلواته فإذا به يبوح ويصيح: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[2].

التفريغ الكبير لن يكون بين أيديكم بل سيكون وقت التجلي الإلهي في ثلث الليل الآخر بث الشكوى بين يديه، ذرف العبرات، نثر المعاناة، شكوى نفاذ الطاقة والصبر البشري، رباه فلا طاقة لي بقيت مع الصبر، وغلبة الحزن، لطالما تعوذ منه الأنبياء غلبة الدين وقهر الرجال، فهو يعلم بوجود محبوبه يوسف عليه السلام وإخوته ولكن لا سبيل إليهم رغم الأشواق ولا يستطيع أن يبوح لإخوته بشيء حتى هذه اللحظة بل ينتظر الإشارة تأتي من جهة يوسف عليه السلام نفسه ولكنها طالت وتأخرت أربعين سنة حتى نفذ من يعقوب عليه السلام الصبر.

- وفي موقف يوسف عليه السلام عندما رفع يديه يناجي ربه وحيداً يطلب النجاة من كيد النساء : ﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ

(١) سورة يوسف:٨٤.

(٢) سورة يوسف:٨٦.

إِلَيۡهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ نز﴾[1]، تتضح المعاناة أكثر إذا علمنا أن المناجي شاب في ريعان الشباب وسيمٌ فاتن بذاته رقيقٌ رفيقٌ مع الآخرين كل تلك الصفات جذبت إليه شوق النساء وعشقهن دونما رغبة منه هو، هذه النفسية الشابة المتوقدة أمام مغريات لا يصمد أمامها إلا من عصمه الله، يريد أن يسلخ نفسه من التصاق العلاقة المحرمة به ومطاردته بالعار والخيانة ومراودتها له في وقت بدأ نفاذ صبره وشعوره بالضعف وانحلال قيوده نحوهن، فهو يتخيل ويتذكر هول ما شاهد من جمال أجساد وإباحية وإغراء وطلب وعرض وتسهيل في كنف الطبقة العليا وفي المقابل التهديد والوعيد منهم له لو امتنع، في وقت غفلة الأزواج وتساهلهم في منع ذلك، وهذا الإغراء من علية القوم وساداتها يشكل ضغطاً وتضييقاً لا يطاق يقابله يوسف عليه السلام بهروبه نحو الله في مساحات العفاف والخلاص باختيار السجون المظلمة المنسية.

- وفي موقف أخير ليوسف عليه السلام لجأ للتداعي في لحظة المناجاة حيث يقول ﴿رَبِّ قَدۡ ءَاتَيۡتَنِي مِنَ ٱلۡمُلۡكِ وَعَلَّمۡتَنِي مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ تَوَفَّنِي مُسۡلِمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾[2]، لقد تدرج يوسف عليه السلام في جميع المراحل بين الشدة واللين وجرب الفقر والغني والجوع والشبع وبيوت البادية وشظف العيش وقصور الملوك ورغد النعيم، وهو في لحظة النعيم الملكي تخيله زائل أو سيزول وأن الخلود العظيم في كنف الله فعاد ليختار كنف المولى جل وعلا على النعيم الزائل فنادى وناجى ربه بأن يتوفاه إليه مسلماً ويلحقه بالأخيار الصالحين هناك في كنفه سبحانه.

٦) **النهايات المفتوحة**[3]: لقد خالفت القصة النمط التقليدي في صناعة الخاتمة فاستخدمت داخل هذه القصة النهايات المفتوحة مع الأحداث ومع الشخصيات بشكل فريد،

(١) سورة يوسف:٣٣.

(٢) سورة يوسف:١٠١.

(٣) أن ينفتح السرد عند نهايته على مجموعة من الاحتمالات الممكنة، وترك المتلقي في حال ذهول وتشوق للنهاية وفي قلبه أمنية أن تنتهي تلك القصة على خير، وأن يظل عقله وتفكيره أسيرًا لشخوص وأحداث العمل الذي كان بين يديه.

فجعلت الأحداث تتصاعد حتى العقدة فجعلت القصة على ثلاثة مراحل : (مرحلة الطفولة والبادية) وجعلت لها أحداث تبدأ ثم تتصاعد حتى العقدة ثم تأتي النهاية المفتوحة لهذه المرحلة ثم تنتقل للمرحلة الثانية (الطفولة في بيت العزيز حتى السجن) تبدأ بحدث ثم تتصاعد حتى العقدة ثم تأتي النهاية المفتوحة لهذه المرحلة ثم تنتقل للمرحلة الثالثة (من السجن إلى قمة الملك وصعود الأبوين على العرش) وتبدأ بحدث ثم تتصاعد حتى العقدة ثم تأتي النهاية المفتوحة ختاماً للقصة كلها، وهذا الأمر في النهايات المفتوحة حصل مع الشخصيات التي تم توظيفها في عنصر هام داخل القصة مثل : (عزيز مصر، وزوجة عزيز مصر، والفتية من السجن، والملك صاحب الرؤيا) تم توظيفهم في أداء أدوار رئيسية لها قوتها في تحولات القصة وأحداثها ثم إن تلك الشخصيات تلاشت وتشظت ودخلت في نهايات مفتوحة يمكن للمتلقي أن يبحر حولها بخياله فقط، إن النفس البشرية فطرت على الفضول والبحث وراء الجديد والمتخفي، وعندما تقدم لها النهاية القصصية المنتهية فإنها تقبل وإن كانت ترجو استمرار حياة القصة، فالنهايات المغلقة تكون مقبولة أحياناً وليس دائماً لكن براعة النهايات المفتوحة أكثر تشويقا لهم، فتقنية النهاية المفتوحة تكون أكثر إثارة وتفاعلاً لتفكير المتلقي أمام الاحتمالات المتوقعة للقصة وخاتمتها وفي قصة يوسف عليه السلام وردت نهايات جميلة تركت أثرها في ذهن المتلقي فذهب ليبحث عنها في كتابات أخرى كالأخبار الإسرائيلية عن قصة يوسف عليه السلام ومن ذلك :

- يعقوب عليه السلام عندما اكتشف الجريمة وعقد قلبه على الصبر بعد فضحه لفعلتهم ماذا حصل بينه وبينهم خلال أربعين سنة قبل سفرهم لجلب الكيل؟.
- الملك بعد أن قرب يوسف عليه السلام منه وأسند إليه ملكاً أين تلاشى؟
- عزيز مصر الذي اشتراه ورباه وأحبه .... أين ذهب في نهاية القصة؟
- امرأة العزيز التي شهدت له في النهاية بالعفاف والطهر ...أين ذهبت بعد ذلك؟
- صويحبات امرأة العزيز (النسوة) رغم تأثيرهن في الأحداث إلا أنهن تلاشين؟
- يعقوب عليه السلام وعائلته بعد وصولهم لعرش الملك في مصر .... ماذا حصل لهم ؟

- يوسف عليه السلام بعد وصوله للملك ...وجمع أهله ماذا حصل في بقية حياته ...هل تزوج؟ هل توفي؟.

إنها نهايات مفتوحة تجعل القارئ يسعى لتلمس الإجابات الشافية في منعطفات القصة أو في خارجها ، فالنهايات المفتوحة تفعل أثرها الساحر في نفس القارئ .

- **المبحث الثاني: بنية المكون اللغوي:**

١) سيميائية[1] لغة القص في (لغة العتبات):

- **عتبة العنوان:** سيطر اسم يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ على عنوان السورة وحيداً فريداً دون أي كلمة تزاحمه في أداء المعنى، هذا الاستهلال العنواني يثير تساؤلات عديدة تبعث فضول البحث والترقب: من يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ؟ ما حصل له؟ لماذا اسمه تحديداً؟ هل يراد لاسمه الخلود مع خلود القرآن الكريم وسوره؟ هل كونه رفض الحرام واللذة وهرب إلى الله، وزهد في الملك وسعى إلى جنب الله أراد الله لاسمه الذكر والخلود مع القرآن تكريماً له؟ تساؤلات لا تنتهي لكن الذي ينتهي أن اسم يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ هو العنوان الدائم بديمومة القرآن.

- **عتبة الإهداء:** كان سبب نزول هذه السورة إهداءً لقلب رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم وتسكين لآلامه وجراحه بأن صاحب هذه القصة مثلك في المعاناة والألم لكنه انتصر بعد صبر ومعاناة، سبب نزولها كان في وقت محنة كبيرة عانى منها رسول الله من وفاة زوجته خديجة الحبيبة أم أولاده ونصيرته بجسدها ومالها وأهلها، وسنده وقت نزول جبريل في بداياته، ومعاناته أيضاً من وفاة سنده وعمه أبي طالب، ثم تكالبت عليه الشرور والعداوات بالضغط عليه لمحاولة قتله في بيته مما دفعه ليهاجر من بلده مكة إلى المدينة وما صاحب ذلك من حصار ومطاردة وغربة، فعندما يكون الإنسان في حالة صعبة وتذكره بمن كان أشد منه صعوبة ومعاناة ثم كافح وصبر حتى انتصر عليها كلها، هذا الإهداء يهدف لتصبيرك وتحفيزك على كل ما تعانيه فالظفر والنصر قريب منك فاصبر وتجلد. ولذلك ختم القصة بالعودة لصاحب الإهداء ليقول له مرة أخرى: ﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۖ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوٓا۟ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾[2].

---

[1] هي قراءة النص بوصفه ممارسة دالة على أفكار مقصودة ، تبعث في الذهن خيالات يكون فيها التميز والجمال فوق ما يقدمه الواقع الحقيقي.

(٢) سورة يوسف:١٠٢-١٠٣.

- **عتبة المطلع**: كانت براعة الاستهلال هي عتبة التحدي الأول التي انطلقت منها هذه القصة، فقد بدأت السورة بقوله تعالى: ﴿الٓر ۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ﴾ (١).

فكأن المطلع: يا أيها العرب و يا أيها البشر لقد نسجنا ونظمنا الكتاب المبين بكامل آياته من هذه الحروف وأمثالها فكانت غاية البيان والعلم والحكمة للعالمين، واليوم نقدم لكم هذه القصة أنموذجاً جديداً فيه روعة البيان وكنوز العلم وبحور الحكمة قصة يوسف عليه السلام.

- **عتبة التصدير**: لقد صُدِّرتْ السورة بدعوى التحدي الأبدي لأهل النظم والبلاغة والبيان والأدب هذا كتابنا المبين يتحداكم بنظمٍ جديد: ﴿ نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ﴾ (٢) أحسن أي أجود، فكأن المطلع يقول تم بناء هذه القصة ومحتواها من حروفكم العربية كـ(الألف، واللام، والراء) فالأمر سهل بداية لكنه ممتنع غاية لمَ؟ لأن نظمنا هنا هو أحسن القصص ومنتهى الجمال، قصة بلغت غايتها في الحسن والجمال والجودة، فطغت على جميع القصص البشرية وغير البشرية، فمن رغب في التحدي فعليه أن يجرب مثل هذا البناء المحكم تشييداً والمتقن مضموناً والرائق ذوقاً وغاية وعذوبة وجمالاً.

- **عتبة الدخول**: حديث المحبين، وحوار القلوب هو من أعذب الحديث، لما فيه من التفريج والمصارحة وبث الأسرار في لحظة الصفاء والمؤانسة هذا المدخل للقصة جسد لنا لحظة الحوار الخاص والخالص بين الأب الحكيم يعقوب عليه السلام نبي الله عليه السلام وبين ابنه المحبوب يوسف عليه السلام الغلام، هذا المجلس الذي تجاوز المصارحة بالهموم الخاصة بل خاض في الفضاء والأفلاك والعروش والأملاك والمستقبل العظيم، فكانت الدهشة أن الحب الفطري ليوسف عليه السلام لم يكن عبثاً بل لأنه يمتلك (سلالة نبوة إبراهيم) القادمة، إن هذا الابن المحبوب سيحمل استمرار الرسالة في عقب

(١) سورة يوسف:١.

(٢) سورة يوسف:٣.

إبراهيم وإسحاق ويعقوب عليه السلام، فهو ابنٌ حبيب في روحه وهو أمان الأمة في المستقبل القريب، فهذا الحال جعل يعقوب عليه السلام يخاف عليه لما سيكون معه من (أمان الأمة في زمانه وسلالة النبوة) أن يفطن لها إخوته فيقتلوه، فهم قد حسدوه بسبب المحبة فكيف لو علموا بالهبة الربانية له ؟. هذا الدخول بعث شوقاً وتشوفاً عظيماً لما هو قادم.

- **عتبة الخروج**: نادى يوسف عليه السلام ربه في نهاية الدور الأخير له في القصة: ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾(1)، في قمة الانتصار بعد طول المعاناة، وعلى بلاطة العرش العليا، يزهد يوسف عليه السلام في كل هذه الأملاك ومناصبها الزائلة، ويتوجه إلى الأفق البعيد بشوقه وهمته ينشد المكان الخالد الذي لا يزول، إنه معية الله وجواره الكريم ورفقة الصالحين. إن اللغة التي استخدمها يوسف عليه السلام في عتبة طلب الخروج من عالم الدنيا وسبب طلبه لذلك إنه خروج العظماء الذين ينظرون للأشياء بحقيقتها لا بنظرة الناس إليها ومكاسبها الوقتية، فكأن النفس تقول يا يوسف عليه السلام طموحك لا ينتهي.

٢) سيميائية البناء اللغوي القصصي:

تتجلى في لغة الإطار العام واللغة الخاصة لتجلي لنا المشاعر والتصرفات والمعتقدات الإنسانية في تلك الفترة، إن القاص العليم نزل اللغة منزلها المناسب لكل مسرح ومشهد، بما يمكن المشاهد أن يستكشف تلك المكونات الإنسانية الداخلية من خلال انعكاسها على السرد اللغوي وبنائيته، فكان اللغة هي المسرح الذي تشاهد من خلاله تلك المكونات البشرية متجلية في صورتها الحقيقية، وعلى سبيل المثال لا الحصر نستعرض نماذج لسيميائية اللغة للانعكاسات النفسية للإنسان في ذلك الزمان.

---

(١) سورة يوسف:١٠١.

- **سيميائية العذوبة والرقة:**

إن مفردات اللغة التي وردت في حديث يوسف عليه السلام لأبيه يعقوب عليه السلام في مطلع القصة لم تكن مفردات عابرة بل كانت مفردات ترن بها أجراس الحب والحنان والرقة: ﴿يَٰٓأَبَتِ﴾ [1].هذا كلام غلام صغير لم يتوجه بالسؤال مباشرة بل حرك عاطفة الأبوة المتوقدة أصلاً، لأنه خائف ومندهش ويتكلم بكلام غريب فهو يبحث عن الأمان وإزالة الدهشة ﴿يَٰٓأَبَتِ﴾ فجاءه الحنان عاجلاً طرياً دافئاً ﴿يَٰبُنَيَّ﴾. لم يناوله الجواب مباشرة خالياً من المؤثرات بل ناداه ﴿يَٰبُنَيَّ﴾ أنت في الأمان والحفظ والأحضان ﴿يَٰبُنَيَّ﴾ ابق الكلام بيننا سراً ولا تخف يتجلى ذلك في النص: ﴿إِذۡ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيۡتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوۡكَبٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ رَأَيۡتُهُمۡ لِي سَٰجِدِينَ ٤ قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًاۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ﴾ [2].

- **سيميائية العنف والوحشية:**

حياة البادية والبداوة تضفي على لغتهم وعلى لسانهم انعكاساتها القاسية دونما تكلف، فعندما نستعرض هذا المقطع التالي نستخرج منه مفردات لا تتوافر إلا في ظروف عالم الصحراء: ﴿إِذۡ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحۡنُ عُصۡبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ٨ ٱقۡتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ ٱطۡرَحُوهُ أَرۡضٗا يَخۡلُ لَكُمۡ وَجۡهُ أَبِيكُمۡ وَتَكُونُواْ مِنۢ بَعۡدِهِۦ قَوۡمٗا صَٰلِحِينَ ٩ قَالَ قَآئِلٞ مِّنۡهُمۡ لَا تَقۡتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلۡقُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلۡجُبِّ يَلۡتَقِطۡهُ بَعۡضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ﴾ [3] . ومن تلك المفردات: ﴿عُصۡبَةٌ﴾ تعبيراً عن الجماعة القوية المتماسكة وقت الشدة، ﴿ ٱقۡتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ ٱطۡرَحُوهُ أَرۡضٗا﴾، فلغة القتل والخطف إلى أرض بعيدة متوجه الآن لطفل صغير، فيالها

(١) سورة يوسف:٤.

(٢) سورة يوسف:٤-٥.

(٣) سورة يوسف:٨-١٠.

من قلوب..! فكيف بها لو كانت مع عدو كبير، ﴿يَخۡلُ لَكُمۡ وَجۡهُ أَبِيكُمۡ﴾ الغيرة والحسد جعل هذا الطفل هو العائق الكبير في حجب وجه أبيهم عنهم، ﴿وَأَلۡقُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلۡجُبِّ﴾ هذا التعبير جاء في لحظة رحمة، بينما قاموسنا في هذا العصر نشعر به غاية الوحشية، ﴿يَلۡتَقِطۡهُ﴾ أي: يتحول الحرُّ إلى لقيط، و﴿ٱلسَّيَّارَةِ﴾ تعبيراً منهم عن كثرة القوافل السائرة في محيطهم. هذه اللغة القاسية جسدت لك عالم الصحراء وأهله من جانب محدد وليس كل الجوانب فلغة الأب يعقوب عليه السلام مع ولده كانت لغة مختلفة.

- **سيميائية الجدل والاحتجاج:**

إن حديث فرض الرأي وتثبيت الحجة يجبر المتحدث على استخدام مفردات تدعمه في التثبيت والاحتجاج على الطرف الآخر فكيف لو كانت لغة الجدل والاحتجاج تستخدم هنا ضد أب رحيم من أبنائه المتربصون كما **يوضحه النص التالي:** ﴿قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأۡمَ۬نَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ ١١ أَرۡسِلۡهُ مَعَنَا غَدٗا يَرۡتَعۡ وَيَلۡعَبۡ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ١٢ قَالَ إِنِّي لَيَحۡزُنُنِيٓ أَن تَذۡهَبُواْ بِهِۦ وَأَخَافُ أَن يَأۡكُلَهُ ٱلذِّئۡبُ وَأَنتُمۡ عَنۡهُ غَٰفِلُونَ ١٣ قَالُواْ لَئِنۡ أَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُ وَنَحۡنُ عُصۡبَةٌ إِنَّآ إِذٗا لَّخَٰسِرُونَ﴾[(١)] ، فحاولوا استخدام لغة التضييق والتحجير على الأب يعقوب عليه السلام وإحراجه بأنه يشك في أمانتهم ﴿مَا لَكَ لَا تَأۡمَ۬نَّا﴾ فهو إما يؤيد وهو صعب على لسانه وإما يجاريهم وينفي ذلك عنهم، واستخدموا لغة الوداعة والطهارة والنزاهة: ﴿يَٰٓأَبَانَا﴾ ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ﴾ ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾، فالنداء الأبوي بلغة الجماعة يفرض الأمان والثقة، وادعائهم بذل النصيحة والحفظ والعناية، لإحراجه أن ينفيها عنهم، فحاول الاعتذار بشيء آخر لا يملكون دفعه: ﴿إِنِّي لَيَحۡزُنُنِيٓ أَن تَذۡهَبُواْ بِهِۦ﴾، فلا تتسببوا علي بالحزن عليه، ثم اعتذر لهم بعذره الثاني: ﴿وَأَخَافُ أَن يَأۡكُلَهُ ٱلذِّئۡبُ

---

(١) سورة يوسف:١١-١٤.

﴿وَأَنتُمْ عَنْهُ غَٰفِلُونَ﴾ فهربوا من الجواب على العذر الأول وهو تسبيب الحزن له لكونه العذر الأقوى وسلطوا كلامهم كله وركزوه على العذر الثاني وهو الخوف من الذئب وهو العذر الأضعف، وهذا في مجال الجدل يعدّ من الالتفاف على النص وتشتيت الذهن عن المهم إلى غير المهم.

- **سيميائية البحث والاستكشاف والتحقيق:**

إن ما حصل في القصة من مشاهد طغت عليها أساليب الجريمة دعت إلى استخدام مفردات تعالج مسرح الجريمة وتخدم مجريات التحقيق والاكتشاف، وقد ترددت مثل تلك المفردات في العديد من المشاهد ومنها على سبيل المثال: ﴿وَجَآءُوٓ أَبَاهُمْ عِشَآءً يَبْكُونَ ﴿١٦﴾ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍ ۚ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾[1].

فالمفردات التي استخدموها للتلبيس على أبيهم وإقناعه بما حصل فبدؤوا باختيار التوقيت ﴿عِشَآءً﴾ والظلام يساعد في إخفاء الدقة والملامح فجاؤوا في حالة بكاء ﴿يَبْكُونَ﴾ وفي وقت ظلام العشاء تلك الأيام لا يتضح صدقه من كذبه، محاولة منهم إضفاء جو الحزن العام الصادق على الجميع كما أن وقت العشاء هو وقت النوم بالنسبة لأبيهم فهو متهيء لعدم التدقيق، ثم بدؤوا في وصف الحادثة: ﴿ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ ۖ﴾ إنهم جميعاً انشغلوا محاولة منهم لحماية جميع العصبة، وأن يوسف عليه السلام كان منفردا يحرس المتاع، ثم عادوا لمحاولة استنهاض عاطفته في عدم التشكيك في كلامهم: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ﴾، ولفظة: ﴿بِمُؤْمِنٍ لَّنَا﴾ مكررة للمرة الثانية، فقد قالوا قبلها﴿مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا﴾، فهم يعرفون أنفسهم وحالهم عنده حقيقة لكنهم يحرجونه حتى لا يصفهم بذلك وسارعوا لتقديم الدليل: ﴿وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍ ۚ﴾،

---

(١) سورة يوسف:١٦-١٨.

فكلمة ﴿بي﴾ إشارة لكون القميص لازال قميصاً، بينما في موقف امرأة العزيز قال: ﴿وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ﴾[1].يعني تمزق، فالدليل لدعم الجريم صار هزيلاً حتى وهو ملطخ بالدماء، فالمفترض في تحقق الجريمة أن يكون يوسف عليه السلام عارياً وأكله الذئب فلماذا الدم على القميص، وإما أن يوسف عليه السلام يلبس القميص وعليه الدم ولم يتمزق فكيف أكله الذئب ولا تأثير على القميص، لذلك كان الحكم بعد البحث والاكتشاف والاستدلال بالعلامات ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨٣﴾﴾[2].فقد فهم أن يوسف عليه السلام لازال على قيد الحياة ولكن هناك خطة ويستعين الله عليها، لماذا لأنها طويلة الأمد ، ونفوسهم التي لم تتورع عن الجريمة حتى في مرحلة الكبر فها هم يقولون:﴿سَنُرَٰوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَٰعِلُونَ﴾ [3]،وهو نفسه ما حصل في مشهد امرأة العزيز في جريمة مراودتها ليوسف عليه السلام غصباً وهروبه لباب القصر وكانت المفاجأة ﴿وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ﴾[4].بداية الفضيحة للجريمة، ومحاولة لململة الموقف وتوجيهه حسب مراد المرأة: ﴿وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[5] وتزعم امتلاك الدليل كونها المرأة الضعيفة جسديا وجنسياً عرفاً، وهنا يحاول الطرف المظلوم والمتهم عرفاً كونه رجلاً يحاول الدفاع مع عدم توافر الدليل في يده ﴿قَالَ هِىَ رَٰوَدَتْنِى عَن نَّفْسِى﴾[6].لكن الكلام لا يدفع الجريمة لكون مرسلاً لكن الله القى بالدليل بينهم ليفضح الأمر: ﴿قَالَ هِىَ رَٰوَدَتْنِى عَن نَّفْسِى وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن

---

(١) سورة يوسف:٢٥.

(٢) سورة يوسف:٨٣.

(٣) [سورة يوسف:٦١].

(٤) سورة يوسف:٢٥.

(٥) سورة يوسف:٢٥.

(٦) سورة يوسف:٢٦.

دُبُرٖ فَكَذَبَتۡ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾(1).شق قميص يوسف عليه السلام من الخلف معناه هروب يوسف عليه السلام من المراودة: ﴿فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٖ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيۡدِكُنَّۖ إِنَّ كَيۡدَكُنَّ عَظِيمٞ﴾(2).فانكشفت الحيلة وعرفت تفاصيل الجريمة وكان الحكم بعد البحث والاستكشاف والاستدلال بالعلامات ﴿إِنَّهُۥ مِن كَيۡدِكُنَّۖ﴾ الجريمة كاملة كيد نسائي وهذا الرجل بريء منه، فاللغة هنا كانت لغة معالجة مسرح جريمة كاملة الأركان ولقد خدمت اللغة جمالية المشهد ومراده. لقد عالجت القصة الروائية مشاهد الجريمة وقدمت الحول والعلاج لها بل وذكرت نماذج للعقوبات الجزائية لكل نوع من الجرائم في ذلك الزمان ، وكان من صور العقوبات السجن والعذاب الأليم والصلب والاسترقاق ، مما يبعث رسالة دالة أن الأمان مقترن بالعدل والثواب للمحسن والعقوبة للمسيء .

- **سيميائية المراودة والفتنة الجنسية:**

إن الفطرة البشرية وغير البشرية تفرض على الطرفين وقت المراودة اختزال الكلام واختصاره والاكتفاء بالتلميح والرمز، فلا تقوى النفوس على كثرة الكلام بل تستعيض عنه بالمشاعر والحركات الجسدية، لذلك جاءت لغة النص في ذلك المشهد مختزلة المفردات وكثيرة الأفعال:

﴿وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدۡ هَمَّتۡ بِهِۦۖ وَهَمَّ بِهَا لَوۡلَآ أَن رَّءَا بُرۡهَٰنَ رَبِّهِۦۚ كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ﴾(3).

فالمفردات المعبرة على الأفعال والحركات والكثيرة تمثلها الكلمات التالية: ﴿وَرَٰوَدَتۡهُ﴾ حركة الطرف الأول ﴿عَن نَّفۡسِهِۦ﴾ امتناع الطرف الثاني ﴿فِي بَيۡتِهَا﴾

(1) سورة يوسف:٢٦-٢٧.

(2) سورة يوسف:٢٨.

(3) سورة يوسف:٢٣-٢٤.

مسرح الحدث ﴿وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ﴾ تجهيزات الطرف الأول: ﴿هَمَّتْ بِهِۦ﴾ حركة الطرف الأول: ﴿ وَهَمَّ بِهَا﴾، حركة الطرف الثاني:﴿ وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ﴾. حركة الطرفين تابع ومتبوع في التسابق﴿وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ ﴾ بداية العنف والإجبار، وتستمر غلبة الحركات على الكلام المنطوق لظروف اللحظة الجنسية بينما تتلاشى الكلمات وتستتر إلا من النزر اليسير ومنها: ﴿هَيْتَ لَكَ﴾ تعبيرا عن التهيئة الكاملة له ﴿مَعَاذَ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ﴾ كلام الخائف المرهوب، ثم يختفي الكلام وتعود الحركات مرة أخرى حتى يقطعها انفتاح الأبواب بوجود أشخاص آخرين مؤثرين ضدّ استمرارية النزعة الشهوانية والمراودة.

- **سيميائية شغف المنطق والاقتصاد:**

طبيعة الظرف والحالة التي حصل فيها هذا المشهد كان يتحدث عن حالة طارئة وأزمة قادمة تتطلب الاستعداد والمبادرة في إيجاد خطة إنقاذ واضحة المعالم والأهداف والتكلفة يتم تجسيدها في خطوات ومراحل قابلة للتنفيذ تعمل على استثمار المعطيات المتوفرة في المنطقة ومن حيث الزمن تكون محسوبة الوقت. هذه اللغة توفرت في النص التالي: ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِى سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾[1] ، ومن المفردات الاقتصادية للحديث عن المرحلة الأولى للخطة: ﴿تَزْرَعُونَ﴾ تشير لنوع العملية وهي الزراعة، ﴿سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا﴾ المدة الزمنية لتنفيذ المرحلة الأولى وأسلوب العمل الدؤوب﴿فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِى سُنۢبُلِهِۦٓ﴾ تخزين الإنتاج ومواصفات التخزين ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ﴾ معدلات الصرف والإنفاق لهذه المرحلة الأولى، والآن يأتي

(١) سورة يوسف:٤٧-٤٩.

الحديث عن المرحلة الزمنية الثانية من الخطة ﴿ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ﴾ وتحديد ظروف المرحلة وهي الشدة والأزمة الاقتصادية الشديدة ﴿ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ﴾ الاستهلاك الشديد للمخزون بشكل استنزافي، ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ﴾ التحصين هو حفظ مدخرات من بذور ذلك الإنتاج لاستخدامها للمستقبل لإعادة الزراعة الجيدة، والتحصين يفترض توفير الظروف المناسبة لتخزين هذه البذور من التلف بأنواعه، ثم يأتي للمرحلة الثالثة وهي مرحلة عودة الاقتصاد وبواعث الحياة والرخاء ﴿ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ﴾ تحديد انتهاء الأزمة في نهاية السنة السابعة ويبدأ التحول في السنة الثامنة التي يكون فيها ﴿ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾ يغاث الناس بكل أنواع الغوث واحد منها المطر، ومنها عودة الظروف المناخية الملائمة وغيرها من المتغيرات، وفي هذا العام يعود ترف التوسع في الطعام بدلاً من قصره على المأكولات بل يحصل للناس الترف بالمعصورات في الزيوت والعصائر والمشروبات. إن هذا المشهد يمتلئ بقاموس كبير من المفردات الاقتصادية والمنطقية والحسابية، ومع ذلك جاء منسجماً مع جميع المقاطع السابقة واللاحقة.

- **سيميائية تستكشف المرأة والرجل:**

لقد ساعدت المفردات اللغوية واللغة المستخدمة في تجسيد المرأة في ذلك الزمان، حيث نالت المرأة جزءً مناسباً من هذه القصة كشفت جوانب كبيرة من حياتها الاجتماعية وطبيعتها البشرية، فمشاهد البادية والبدو كانت المرأة غير حاضرة بل مستترة لم تظهر إلا مرةً واحدةً برفقة يعقوب عليه السلام عندما ارتفعا على العرش ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ (١) ، بينما في المدينة كانت المرأة ﴿ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ﴾ (٢) والنسوة ﴿نِسْوَةٌ فِي ٱلْمَدِينَةِ ﴾ (٣).

---

(١) سورة يوسف:١٠٠.

(٢) سورة يوسف:٣٠.

(٣) سورة يوسف:٣٠.

لهن حضور فردي وجماعي في القصة ﴿ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَئًا ﴾ (١) بل تأثيرهن وصل لإصدار الأحكام والسجن والعقوبة ﴿وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ ﴾ (٢) ، كما كشفت القصة عن طبيعة المرأة تندهش بالمشاهدة الخارجية سريعاً ﴿ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ﴾ (٣) ، بينما كشفت لنا اللغة المستخدمة هنا عن ملامح الرجل بشكل كبير فرجل البادية شديد البأس وقاسي لا يقبل المساواة مع المرأة في أي جانب لذلك لم يكن لها حضور في مشاهد البادية إلى الأم العجوز، بينما في المدينة كان ظهور الرجل يبرز في الأسواق والإدارة والحراسة والسجون والقيادة والقوافل والعلم والحكمة، بينما رجل المدينة ظهر في ملامح العقلانية والتفاهم والمنطقية وربما مشاركته المرأة في الكثير من الجوانب، كل تلك المشاهد خرجت لنا من خلال منظومات لغوية رائعة. ولقد استعملت المرأة المراودة للدلالة على حالة نفسية وقعت فيها الموصوفة بذلك (راودته التي هو في بيتها عن نفسه)، بينما المراودة عند الرجل قصد بها المراوغة في الكلام للوصول إلى مصالح خاصة (سنراود عنه أباه).

- **سيميائية المعتقدات السائدة ذلك الزمان:**

تلك الحقبة الزمنية انتشرت فيها معتقدات متعددة غلبت عليها طابع الخرافة عند الوثنيين، وظهرت ملامح التوحيد عند المؤمنين وهم قلة، لقد جلت بعض المشاهد وكشفت عن تلك الحالات ومنها على سبيل المثال: لقد صرح يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ عن عقيدته ﴿وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ﴾ (٤) وبين عقيدة المجتمع الذي كان يعيش فيه وهم تسببوا في سجنه ﴿ رَبِّ إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾ (٥).

---

(١) سورة يوسف: ٣١.

(٢) سورة يوسف: ٣٢.

(٣) سورة يوسف: ٣١.

(٤) سورة يوسف: ٣٨.

(٥) سورة يوسف: ٣٧.

ثم كشفت القصة عن ورود دلائل لبقايا تدين قليل في ذلك المجتمع خرجت مصادفة في كلامهم ﴿حَٰشَ لِلَّهِ﴾ [١]، وعند توبة امرأة العزيز حينما قالت:﴿ذَٰلِكَ لِيَعۡلَمَ أَنِّي لَمۡ أَخُنۡهُ بِٱلۡغَيۡبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي كَيۡدَ ٱلۡخَآئِنِينَ ٥٢﴾ [٢] ، كما أن اللغة كشفت عن تعلق الناس بالرؤيا والأحلام ﴿أَفۡتُونِي فِي رُءۡيَٰيَ﴾ [٣] ، وقول السجناء﴿نَبِّئۡنَا بِتَأۡوِيلِهِۦٓ﴾ [٤]، وقول الحاشية: ﴿أَضۡغَٰثُ أَحۡلَٰمٖۖ﴾ [٥]، دلالة على توافرها بينهم كدرب لمعرفة المستقبل والحوادث لذلك نفوها عنهم: ﴿وَمَا نَحۡنُ بِتَأۡوِيلِ ٱلۡأَحۡلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ﴾ فجعلوها علماً يفتقرون له.

كما بينت اللغة المستخدمة توافر قدرات التحليل النفسي عندهم فكانت فراسة الرجل الذي اشترى يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ من مصر في محلها حين قال: ﴿أَكۡرِمِي مَثۡوَىٰهُ﴾ [٦]، يعني بالغي في إكرامه، والمثوى يعنى مقامه ﴿عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوۡ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدٗاۚ﴾ تفرس فيه المنفعة من جميع الأوجه سواء صار سنداً لهما أو صار ولداً تحتهما، وقد حصل له ما توقع فكان سنداً في منصبه، وصار حنوناً أميناً لم يقبل الخيانة في أهله. والملك عندما شاهد يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ وتحدث معه ﴿فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلۡيَوۡمَ لَدَيۡنَا مَكِينٌ أَمِينٞ﴾ [٧] فهو استخلصه لنفسه ليكون في مجلسه لكنه عندما كلمه وجد فيه شيئاً لم يره من قبل فقال مقولته العظيمة إنك عندي مكين في الملك أمين فيما تتولاه. ويعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ الأب كان يتفرس في أبنائه فيعرف خباياهم وطبائعهم. وكان يعرف قدرتهم على فهم الرؤيا لذلك قال

---

(١) سورة يوسف:٣١.

(٢) سورة يوسف:٥٢.

(٣) سورة يوسف:٤٣.

(٤) سورة يوسف:٣٦.

(٥) سورة يوسف:٤٤.

(٦) سورة يوسف:٢١.

(٧) سورة يوسف:٥٤.

ليوسف عليه السلام : ﴿لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ﴾ (١) ، هذه المعاني ما كانت لتتجلى لولا توافر فضاءات هذه اللغة الرشيقة.

- **التقابل بين البنايات السطحية والبنايات العميقة**(٢):

فالقاص لا يقف أمام النصوص والألفاظ والجمل عند مجرد نحوها وصرفها وبلاغتها فحسب، إنَّما ينفذ من خلالها إلى صناعة دلالات نصية معرفية ونفسية واجتماعية وعقلية، باعتبار النصِّ جزءًا فعليًا من الواقع بدمه ولحمه، وباعتباره مُترابطًا كلياً من حيث الدلالة، مما يؤكد لنا ثنائية البنية في مظاهر ومسائل كثيرة عززتها نظرية النظم عند العرب، ولاحقاً عند البنويين التحويليين الغربيين. ومن خلال هذه القصة سنقف على نماذج كثيرة حصل فيها تقابل أخاذ بين البنايات السطحية والبنايات العميقة مما أحدث جمالاً في النص القصصي ، والنماذج التي سنقوم بدراستها وتحليلها في النصوص التالية على قسمين : منها قسم سننظر التسطيح فيه على المشاهد بعامة ومن ثم سنشاهد التعميق كيف يتجلى في دلالاتها العميقة خلف النصوص، والقسم الثاني في البنية للألفاظ المفردة والمركبة ، وفق ما سنستعرضه فيما يلي:

---

(١) سورة يوسف:٥.

(٢) هو من علوم البنية اللغوية التي ترى ثنائية اللغة بأن لها أصلاً عميقاً وجذراً يحوي المعنى الرئيس ولها لفظاً قد دخلته زيادات يحوي إضافات قد تؤثر في المعنى وتثريه بدلالات نصية معرفية ونفسية واجتماعية وعقلية، عبر عنه الأدب العربي بنظرية النظم ، وعبر عنه الغرب بالبنيوية التحويلية.

- **النموذج الأول:** بناء قصة يوسف جاء معنوناً في مقدمته باسمه " يوسف" تعظيماً له ، وانطلقت القصة ترسم حياة يوسف وتقلباتها حتى الملك وفي نهاية المطاف يزهد في الدنيا ليرجو من الله الرفيق الأعلى ، هذه الحالة نفسها بكل ما يجري فيها رسالة لنبي الله " محمد" بأن مسيرة حياتك مثله تماماً وشاهد ذلك في الجدول التالي :

م	الحدث	يوسف عليه السلام	محمد عليه الصلاة والسلام
١	رسالة الإشعار بالمستقبل	تفسير الرؤيا بين يعقوب ويوسف	تفسير ورقة بن نوفل الحادثة لرسول الله مع خديجة
٢	الأذى قبل إخراجه من بلده	إخوة يوسف	مشركي قريش
٣	المؤامرة على الإخراج	إخوة يوسف	التسبب بالهجرتين ثم الثالثة
٤	الخطف أوالمطاردة	البئر ورجال السيارة	غار ثور والمطاردة
٥	بداية الأمان والنصرة والتمكين	حضانة عزيز مصر	حضانة أهل المدينة
٦	تهمة الإفك	الاتهام من امرأة العزيز	اتهام المنافقين لعائشة رضي الله عنها
٧	المؤامرة للمرة الثانية	مؤامرة السجن والإخفاء	مؤامرة الطعام المسموم
٨	بداية الإنفراج	الارتباط بالملك وبداية التمكين	فتح مكة وبداية السيادة
٩	الاجتماع بالأهل والأقرباء	وصول أبويه وإخوته	وصول أهله وقرابته للمدينة
١٠	السيادة والإنتشار الإقليمي	وصول وفود الأقاليم للمعيشة	وصول الوفود للإسلام
١١	طلب الرفيق الأعلى	طلب الرفيق الأعلى	طلب الرفيق الأعلى

إن البناية السطحية للقصة وجميع أحداثها تبعث لنا دلالتها السطحية حول حياة " يوسف" فقط ، لكن سبب نزولها على رسول الله " محمد" في ظروف مماثلة تماما ، قدمت له الإيحاء بأن المسيرة واحدة والخاتمة واحدة ، والموعود واحد.

- **النموذج الثاني :** أن القصة الروائية انطلقت من رؤيا غريبة ، هذه الانطلاقة الغريبة تسيطر عليك ظاهرياً لتتبع أحداثها ونهايتها ، كيف لأجسام فلكية أن تصطف بهيئة

ملائكية ، ثم تخضع بهيئة السجود ليوسف ، كيف تشكلت لهذا الصبي الصغير ليراها ساجدة، ثم تستمر القصة الروائية ، هذه الدلالات السطحية توحي لك بأنها المقصودة فقط،، لكن الأغرب والأكثر دهشة أن القصة كلها جاءت تحمل في أعماقها ألواناً من المعلومات والأحداث التي تجسد لك شخصية نبي الله " يعقوب" الذي قام بتفسير تلك الرؤيا وكتم أسرارها وناصرها حتى تحققت، هذه الشخصية الخفية التي لم يستطرد عنها القرآن بالمعلومات كما استفاض حولها في ثنايا ومنعطفات هذه القصة التي تحمل اسم وشخصية يوسف، نحن لم نتوصل لشخصية " يعقوب" عليه السلام في أي مكان كما عايشناها هنا ، في هيئة العالم الحكيم ، والأب الرحيم ، والرجل الصبور، وصاحب الأسرار الغيبية والمستقبلية، وظهر لنا تفوقه في العلم حتى على ابنه يوسف في التفسير وقراءة الأحداث وخفايا الأمور والإخبار عن الأشياء الغائبة قبل حصولها ، بل إن يوسف كان يفسر الرؤيا لمستقبل عشرين سنة بينما يعقوب يفسر الرؤيا لمستقبل أربعين سنة ، ويوسف أخبر الفتيان في السجن عن قدوم الطعام وهو ليس بالبعيد بينما يعقوب أخبر عن رائحة القميص مع العير وهي خارج الدولة مصر على مشارف فلسطين، والرائحة لشخص بعد أربعين سنة أو أكثر. إن البناء السطحي يتكلم عن يوسف ، لكن أعماقه تتحدث عن نبي الله يعقوب .

- **النموذج الثالث :** صورة التعبير عن الحب في هذه القصة جاءت تحمل تعبيرات تشعرك بالحب لكنها تختلف في التكيف معه والتعاطي معه ، فالحب بين يعقوب ويوسف كان مختلفاً عن فهم إخوة يوسف للحب بينهم وبين أبيهم ، والحب من امرأة العزيز ومصلحتها منه يختلف عن محبة زوجها الذي أحب يوسف ليكون ولدا له أو ساعدا وذخرا له ، كذلك الملك حبه ليوسف جعله مكيناً أمينا في بلاطه ، كلهم يجول في فلك الحب ، لكنهم جميعا يكيف الحب وفقاً لمعاني عميقة خاصة لا يحملها مدلول الحب وطبيعته .

- **النموذج الرابع :** وهو للتسطيح في المفردات المفردة والمركبة ومن ثم التعميق فيها بدلالات عظيمة ، منها الألفاظ التي استملتها الرؤيا (أحد عشر كوكبا والشمس والقمر) تم تفسيرها على خلاف الظاهر بأنها الإخوة والوالدين ، والسجود الذي هو رمز التذلل صار دلالة على التقدير والاحترام أمام المسجود له حيث صار ملكاً عزيزاً. ومن نماذج ذلك : البقرات رمز للسنوات والسنبلات رمزا للغذاء ، وحمل الخبر على الرأس على خلاف مكانه الصحيح أعطى دلالة الموت لأن مكانه سيكون مأكولا من الطير، وعصر الفواكه لا يكون إلا في مجالس الأثرياء والملوك فأعطى دلالة عميقة على الفرج والقربى من أصحاب الشأن والحظوة عندهم ، ومنها لفظ (القميص) جاء في حادث الذئب رمزاً للحيلة وجاء في حادثة المراودة رمزاً للجريمة والخيانة، بينما جاء لفظ (القميص) في حادثة عودة البصر رمزاً للبشارة، وكذلك الذئب والدم جاء رمزا على المتعارف عليه تعبيراً عن الموت، لكن يعقوب عليه السلام فهم منه خلاف المتعارف عليه بأن يوسف عليه السلام لازال على قيد الحياة ، وكذلك السكين والدم رمزا للألم والنزيف لكنها مع حادثة النسوة كانت دلالتها عن شدة الشهوة والشغف والذهول عن الألم وما تقوم به اليد الأولى تجاه اليد الأخرى.

ـ المبحث الثالث: بنية اللغة النصية :

المشاهد التي تضمنتها القصة فرضت عليها أجواءٍ تتواءم مع محتوياتها وكان نصيب المشاهد التي تضمنت اللغة الشاعرية مشاهد محدودة ومنها اتسمت برقة الألفاظ وبث النداء والآهات والبوح والمشاعر الوجدانية بما يتجانس مع البيئة الشعرية ونغماتها وإيقاعاتها الموسيقية فحروف المد والنداء كانت كفيلة بتجسيد الألم والحزن والصياح، فلو راقبنا صوت الألف في المد في كلمة: ﴿ وَتَوَلَّىٰ﴾، ﴿يَٰٓأَسَفَىٰ﴾، ﴿عَيْنَاهُ﴾، كلها جاءت تدعم تحقيق الأسف والحزن في قوله: ﴿ وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾﴾[1]، ومثلها صوت الياء في كلمة ﴿كَظِيمٌ﴾ وفي كلمة ﴿بَثِّي وَحُزْنِيٓ﴾ في دعم رفع الصوت بالأنين في قوله: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[2].

وصوت نا الدالة على المتكلمين وأثرها على الاستعطاف المتكرر الصادر من إخوة يوسف عليه السلام في كلماتهم: ﴿يَٰٓأَبَانَا﴾، ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَنَا﴾، ﴿إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ﴾ ﴿يَٰٓأَبَانَا﴾، ﴿مَا لَكَ لَا تَأْمَ۫نَّا﴾. صوت ونغمات النون المرتبطة بالألف عند المد تصنع جرسها في النفس فتلامس الحنين والرحمة ولذلك تجدها غالبة وقت الدعاء والنداء والاستغاثة تشعرك بالضعف والإنهاك ومناشدة الخلاص.

---

(١) سورة يوسف:٨٤.

(٢) سورة يوسف:٨٦.

المبحث الرابع: تقنيات تعبيرية جديدة (الغموض، الرمز، المفارقة، السخرية، القناع وغيرها):

تقنية الغموض: لقد تناولت القصة الغموض من خلال تعبيرات جسدت طبيعة المجتمع آنذاك وتعاطيه مع مثل هذه الجوانب الغامضة رغبة في معرفة المستقبل والتعطش لملامح مشرقة عما هو قادم، فوردت تعبيرات تحمل الغموض ومدلولاته ومنها على سبيل المثال ﴿قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا﴾ (١). فأظهر لهما قدرته على معرفة القادم لهما قبل أن يصل إليهما وخص حديثه بالطعام، ﴿وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٢).يقصد معرفة غيبيات لا يعرفها عموم الناس، ﴿وَقَالَ يَٰبَنِىَّ لَا تَدْخُلُواْ مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ وَٱدْخُلُواْ مِنْ أَبْوَٰبٍ مُّتَفَرِّقَةٍ﴾ (٣) فالأب الرحيم يحس بأن دخول هؤلاء العصبة كتلة واحدة قد يعرضهم للخطر بأنواعه، وأن تفرقهم في الدخول يصرف عنهم عيون الخطر. ﴿فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا﴾ (٤) فعملية تقطيع اليدين والمنفذ لهذا التقطيع هو حامل السكين نفسه فما الأسباب وكيف تمت العملية. ﴿إِنِّى لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ﴾ (٥). وجد الرائحة وهي على مشارف مصر، ورائحة الثوب ليوسف عليه السلام وهو ملك وهو يعرف رائحته وهو طفل، فكيف عرفه. ﴿ٱذْهَبُواْ بِقَمِيصِى هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِى يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِى بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٣﴾﴾ (٦).ما علاقة القميص بعودة البصر؟، وكذلك في الرؤيا ما علاقة الكواكب والشمس والقمر بعائلة يوسف عليه السلام؟ وفي رؤيا الملك: ما علاقة البقرات والسنبلات بخطة إنقاذ البلاد من الأزمة الاقتصادية؟

(١) سورة يوسف:٣٧.

(٢) سورة يوسف:٨٦.

(٣) سورة يوسف:٦٧.

(٤) سورة يوسف:٣١.

(٥) سورة يوسف:٩٤.

(٦) سورة يوسف:٩٣.

- **تقنية الرمز**: شكلت التعبيرات الرمزية حضوراً كبيراً في هذه القصة، وتم توظيف الرمز بأشكال وطرق متنوعة، منها توظيف الرمز وفقاً للمتعارف عليه، ومنها توظيف الرمز على خلاف المتعارف عليه، ومنها استحداث مصطلحات رمزية جديدة، ومثال ذلك: لفظ (القميص) جاء في حادث الذئب رمزاً للحيلة وجاء في حادثة المراودة رمزاً للجريمة والخيانة، بينما جاء لفظ (القميص) في حادثة عودة البصر رمزاً للبشارة، وكذلك الذئب والدم جاء رمزا على المتعارف عليه تعبيراً عن الموت، لكن يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ فهم منه خلاف المتعارف عليه بأن يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ لازال على قيد الحياة.

- **تقنية الالتفاف**: جاءت صيغ تعبيرية كثيرة في هذه القصة توحي بمحاولة المتكلم الالتفاف على المعنى بكلام يظهر معنى ويبطن غيره بقصد الحيلة فأشبه التورية في طريقتها فقد لفت يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ فضول الملك لحادثة النسوة التي قطعن أيديهن ﴿**فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّٰتِى قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ**﴾[1]، هذه الحادثة الغريبة ستجعل الملك فعلا يفتش عنها ليعرف سبب تقطيع الأيدي البشرية بخلاف لو قال له عن محاولتهن المراودة، فاختار شيئاً ليصل به إلى غيره، ومنه حرص يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ على إحضارهم لأخيهم الصغير معهم مقابل زيادة الكيل وإلا فلن يستقبلهم مرة أخرى: ﴿ **فَإِن لَّمْ تَأْتُونِى بِهِۦ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِى وَلَا تَقْرَبُونِ**﴾[2].وهدفه حفظ أخيه وإشعار والده بوجود وتبسيط وتهوين مرحلة مفاجأة اللقاء القادم لذلك قال الأب ﴿**فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ**﴾[3] . بأنه فهم الرسالة، ومن ذلك أيضاً ما فعلته امرأة العزيز بالنسوة عندما سمعت بمكرهن فعملت على ضيافتهن لتوقع المكر الأكبر عليهن بتقطيع الأيدي، وهذا يجليه حرصها على السكين في يدي كل واحدة منهن وقت دخوله ﴿ **وَءَاتَتْ كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا**﴾[4].

---

(١) سورة يوسف:٥٠.

(٢) سورة يوسف:٦٠.

(٣) سورة يوسف:٨٧.

(٤) سورة يوسف:٣١.

- **تقنية السخرية:** لقد جاءت هذه القصة على مستوى راقي من النظم والمضامين فلم تلتفت إلى التهكم والسخرية بشكل مقصود إلا أن المشاهد لم تخلُ صياغاته من إشارات خفيفة جاءت بلغة السخرية وهي قليلة ومن ذلك : سخرية نسوة المدينة من زوجة العزيز ذات الحسب والنسب كيف تغرم وتراود خامها المملوك، فهم لا يعيبون عليها مراودة الأعيان والكبراء بل يعيبون عليها مراودة الخادم فكانت عباراتهم تهكمية شديدة فقالوا: ﴿ ۞ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾﴾(١) فهذا التهكم دفع بامرأة العزيز لمحاولة الانتقام من أولاء النسوة بصناعة موقف يجلب عليهن سخرية وفضيحة أكبر مع يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ نفسه فدبرت الاجتماع بهن في مجلس رفاهية وأخرجت عليهن يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ بعد أن قدمت لكل واحدة منهن سكين لتأكل طعامها فما خرج صعقت النسوة شهوة وقطعن أيديهن، فسخرت منهن وقالت ﴿قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ ۖ﴾(٢) وهذا فعلكن من أول نظرة بينما أنا صبرت عليه منذ صباه وطفولته ولم أفتن به إلا في مرحلة الشباب والرجولة فكأنها تقول أنا أقدر منكن وأصبر فلما تلوموني ولا تلوموا أنفسكن على الفتنة والشهوة السريعة وهو نفسه الغلام الخادم(فكأنها تسخر من فعلهن وفضيحة حادثتهن بين المجتمع، وسخرية يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ من إخوته عندما رموه بالسرقة فقالوا ﴿قَالُوٓاْ إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُۥ مِن قَبْلُ ۚ﴾(٣) فسخر منهم على كذبهم في حق الغائب فقال: ﴿أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا ۖ﴾.

(١) سورة يوسف:٣٠.

(٢) سورة يوسف:٣٢.

(٣) سورة يوسف:٧٧.

- **تقنية القناع**[1]: تضمنت هذه القصة صوراً جميلة لتقنية القناع وانسجمت مع جمال طابع الغموض في السورة واللطف والخفاء في العواقب وجمال ترقب المستقبل الموعود من خلال الرؤيا، فقد جاءت محاولات إخوة يوسف عليه السلام في التخفي من حقيقتهم الإجرامية لخطف يوسف عليه السلام بالتغطي تحت ملابس البراءة من الجريمة، وكذلك محاولتهم التخفي من حقيقتهم العدائية تجاه الطفل يوسف عليه السلام بمحاولة لباس ثياب الحنان والوداعة لإحراج أبيهم فيدفع لهم يوسف عليه السلام، ويمكن لتقنية القناع أن تتجلى في استمرار تخفي يوسف عليه السلام عن إخوته وهو حينها عزيز مصر ليستدرجهم ويوقعهم في شرك الامتحان والابتلاء مع أخيهم وأبيهم. وقناع امرأة العزيز التي تغطت به عندما فتح الباب في وجهها أمام زوجها وأمام شاهد من أهلها لتستر عورة شهوتها وعشقها الفاضح لتلبس ملابس العفاف والطهر والبراءة ومقاومة المهاجم لمحاولته انتهاك حرمتها، هذا القناع المحرج والسريع لم يكن ليستطيع أحد كشفه لو لا لطف الله بوجود شق من القميص انتزع من مؤخرة ثوب المظلوم وهو يحاول الهرب وهذا الشق لا يكون أبدا في حال الهجوم، عندها تكشف القناع عن فضيحة النفس الشهوانية منها. وهناك قناع جميل أيضاً وهو دفع يوسف عليه السلام للملك لكشف براءته وطهارته وإخراجه من السجن من خلال وضع القناع على وجه الحقيقة الأصلية (مؤامرة امرأة العزيز والنسوة ضد) ليدفع الملك ليكشف سرَّ (تقطيع النسوة لأيديهن) إن عملية التقطيع تلك تمت في بلاط عزيز مصر وبحضرة أعلى طبقات النساء في المجتمع دفعة واحدة، لماذا؟ فهذا الخبر العجيب يبعث فضول التنقيب والبحث ومن خلاله كان كشف الحقيقة المطلوبة وهي الاعتراف بمراودة يوسف عليه السلام وسجنه عندما امتنع. ولزوم القناع هنا مخافة عزوف الملك عن البحث عندما يعلم أن المراودة كانت من طبقات حاشيته. إن جمال القناع يتميز عندما لا يجعل المعنى

(١) مأخوذ من إخفاء الوجه الحقيقي بغطاء، وتعرف تقنية القناع بأنها تشكيل سردي يتخفى خلفه الأديب ليحكي تجاربه أو ليبث دلالات يهرب من التصريح بها ومن أدوات القناع: استخدام شخصية تتكشف لاحقاً عن شخصية أخرى داخلها تخفيها على سبيل المفاجأة أو باستدعاء شخصية جاذبة عصرية أو تاريخية وإلباسها غير لبوسها لتحكي تجاربه الخاصة، أو بتوظيف رموز تحكي تلك الدلالات من خلال علاقة الرمز بحادثة أو بأشخاص..

يستسلم لك من الوهلة الأولى بل يدفع للبحث خلفه حتى تجده بعد عناء وهنا تكمن اللذة والجمال.

- **المبحث الخامس: المكون البيئي (المحلية والتقليدية والدولية وفضاء الزمان والمكان و الفضاء السردي والفضاء السماوي والفلكي):**

١) **البيئة المحلية**: لقد عالجت القصة البيئة المحلية بإيراد تجسيد لها بجعلها خلفية للأحداث تارة وداخلة في ثنايا الحدث تارة أخرى، فتجسدت (البيئة البدوية) في أشخاص البادية إخوة يوسف عليه السلام العصبة، والفروسية، وسباق الخيل، ومكونات البيئة من المتاع، والذئب، والبئر، والقافلة السيارة، والرحال، الميرة بقوله نمير أهلنا والمكونات اللفظية والفكرية بقسوة الألفاظ وعنف التخطيط بالقتل والخطف والرمي في الصحراء وفي غيابات الجب، وأسلوب السرقة للغلام وإخفائه لتهريبه لمصر عندما أسروه بضاعة ولم يبحثوا عن أهله . وتجسدت (البيئة المتحضرة) في لغة عزيز مصر وزوجته بأمره لها أكرمي مثواه، يقصد المبالغة في الكرم في دفع الكرم لمثواه فكيف به هو، والفراسة بالغلام عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولداً، وتجسدت مكونات المباني بسعة المباني وكثرة الأبواب الداخلية للجناح الخاص بزوجة العزيز وقد احتاجت لإغلاق الأبواب الكثيرة لمكانها الخاص تعبيراً عن الثراء والبنيان الكبير وثقافة البناء، وكذلك ما جسده تخطيط يوسف عليه السلام لتخزين الحبوب والطعام يوحي بالبنيان المتقدم لدى الدولة يختص بالتخزين العام والخاص، وصواع الملك وهو الكأس الذي يشرب فيها أو يكال به وعليه ختم الملك، كناية عن الفخامة والتميز. كما جسدت القصة بيئة السجون واختلاط المسجونين بين الكهول والفتيان، وأحلام الفتية تحدثت عن الخمرة والخبز الكبير الذي يحمل على الرؤوس لكبر حجمه وكثرة الآكلين إلى حد الشبع في المدن.

٢) **البيئة التقليدية**: لقد صورت القصة تقاليد المجتمع آنذاك من خلال تجسيد مكوناته التقليدية والعرفية ومنها :

تجارة الرقيق في البيئة الصحراوية فهم يعرفون الرق ولو كان المخطوف حر الأصل، والقوافل تعلم ذلك ولكنهم يتجرؤون على الاتجار بالبشر، وما حدث ليوسف عليه السلام إنما

كان نموذجاً لذلك حينما قالوا ﴿ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ ﴾[1].أي يجعلونه لقيطاً أي رقيقاً، يبين ما يحدث وما يتواطؤ عليه كثير منهم من الفعل المحرم بالخطف وتحويلهم سلعة وبضاعة.

- **تكوين العصبة:**، فأهل البادية يشعرون بالقوة والغلبة من خلال الكثرة ومن خلال تكوين التحالفات وبذالك يتفاخرون، ولقد أوردت القصة تفاخر إخوة يوسف عليه السلام بذلك كثيرا بقولهم ونحن عصبة، كذلك خاف عليهم يعقوب عليه السلام من دخولهم مصر دفعة واحدة من باب واحد، حتى لا يكونوا تحت نظر الجيش وغيره زيادة على خشيته من العين.
- **الاعتقاد بالأحلام والعين وقراءة المستقبل:** فقد انطلقت القصة من رؤيا ثم تبعتها رؤى كثيرة، وكذلك أوردت القصة اعتقادات الناس حول قراءة المستقبل على مختلف طبقاتهم من الملوك والسجناء وأهل البادية فكان عرفا وتقليداً لذلك الزمن.
- **المرأة والرجل:** فقد اعتنت القصة ببيان تعامل البادية مع المرأة بعدم بروزها وظهورها في العلن أو مشاركتها للرجل في شؤون الحياة، بينما المرأة في المدينة تبرز في القصة بشكل كبير جلي بدأ من ظهورها في لحظة ابتياع يوسف عليه السلام وحتى أن رفع ابويه على العرش، فكان لها حجم المساواة مع دور الرجل في القصة المدنية . كذلك ذكرت القصة أثر التعدد في الزوجات على علاقة الإخوة ببعضهم خصوصا عندما يشعرون بالتمييز بينهم، بينما في حياة المدن يتضح عدم التعدد وسلطوية المرأة في الإدارة ونقل الشائعات.
- **الاختصاص بصناعة الخمرة:** وها مؤشر على الترف في المجتمع المدني في القصة حتى إنهم جعلوا ساقياً متخصصاً في العصر والتجهيز لمشروبات الطبقات من الخمرة.

---

(١) سورة يوسف: ١٠.

- **كثرة القوافل**: ترمز للحركة التجارية ونشاطها في تلك المرحلة وخصوصا القوافل الدولية من الدول المجاورة والاتجاه إلى الأسواق المصرية، حتى إن إخوة يوسف عليه السلام وصفوهم بقولهم يلتقطه بعض السيارة لكثرة مرورها بالمنطقة.
- **كثرة الزراعة**: وتوافر مكوناتها من خبرات ومن أدوات ومن مخازن ومراكز صرف وتوزيع ومن تحصينات للمستقبل.

٣) **الفضاء القصصي الزمان والمكان**: من عجائب هذه القصة – قصة يوسف عليه السلام – شمولية فضائها القصصي واتساع مساحته يتجلى ذلك في خوضها في فضاءات مكانية وزمانية متعددة على غير المعتاد في القصة المحلية آنذاك فقد تضمنت قصة يوسف عليه السلام استثمار الفضاءات المتعددة بانسيابية لا تطغى المكانية في جهة على المكانية في جهة أخرى ومن ذلك:

- فضاءات المكان الصحراوي كمسكن دائم للبدو ومضمار سباق لهم وصيد وتجارة واستعراض للقوة.
- فضاءات المكان المدني بقلاعه الكبيرة ذات البوابات الضخمة التي تتسع لدخول العصبة كاملة مع بعض وهم إخوة يوسف عليه السلام، وقصوره الفارهة ذات الغرف الخاصة بعد أبواب داخلية كانت تقوم امرأة العزيز بغلقها على يوسف عليه السلام وقت المراود، والمجالس الفارهة وقت اجتماع النسوة للترفيه والأحاديث النسائية الخاصة فكل واحدة مستلقية على كرسيها ومتكئة باستقلالية عن الأخريات مما يشعرك بحجم الغرفة ومساحتها، مكانية الأسواق ومحلات بيع المتاجر والعبيد واستقبال القوافل وحمولاتها.
- فضاءات الأعماق في البئر: لقد وصفت القصة غيابة الجب، ومكانه الصحراوي في تقاطعات تلتقي فيها السيارة والقوافل فقط، مما يشعرك بأنها أرض وحشية بعيدة عن الأنيس والأصوات، ناهيك عن طفل يقبع في تلك الأعماق والغيابات المظلمة، فلا ضوء ولا هواء سوى الطين والماء والحجر.

فضاءات السجن: لعل العقل في وهلته الأولى يتخيل السجون على طبيعتها الحالية، لكن القصة رمزت لتلك السجون رمزاً يوحي بالاختفاء وانقطاع الأمل فقالت ﴿فَلَبِثَ فِي ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾[1].فقد مكث قبل هذه الحادثة في السجن مدة زمنية تعرف عليه الفتيان في السجن وصاحبوه ثم بعد أن فسر لهم الرؤى مكث سنين، هذه المدة الطويلة تشعرك بطبيعة هذا المكان الذي يختفي فيه السجناء ولا تسمع فيه الآهات والشكاوى والمعاناة فكيف بالحقوق المسلوبة.

- فضاءات البلاط الملكي: لقد وصفت القصة رفع يوسف عليه السلام والديه على العرش في مكان يحتاج للصعود والارتفاع في مكان مجلسه الخاص به في هذه المملكة المصرية، فكيف بالبلاط الملكي وعرش الملكي المصري آنذاك، وكيف بالمقاعد والمجالس الخاصة بالحاشية والوزراء وسعت ذلك المكان وهيبته.
- فضاءات الشمس والقمر والكواكب: لقد تجاوزت هذه القصة حدود المعقول البشري في كون الشمس والقمر والكواكب السيارة الأحد عشر في ملكوت السماء ليراها أمامه في ملكوت الأرض وعلى حال أعجب وأغرب وهم على هيئة السجود والخضوع التام، ولمن هذا السجود إنه ليوسف عليه السلام عليه السلام وحده دون غيره، فهذه الصورة الغريبة والمذهلة والأقرب للاستحالة حقيقةً تم نسجها في القصة حالة كونها قد مزجت أجزاءً من مملكة السماء بأجزاءٍ من مملكة الأرض إرهاصاً منها تجاه الحدث الأشد غرابة ودهشةً للمستقبل القادم وإن كان في العقل البشري يستحيل قبول ذلك لكنه كان.
- فضاءات طرق القوافل: لم تكن الحادثة تشير إلى مكانٍ تعبره فئة من الناس بل تشير إلى مسارٍ قد دكته وعبدته أرجل القوافل من كثرة مرورها وسيرها في تلك النواحي حتى أطلقوا عليها سيارة من كثرة السير والتردد، فلو تخيلت ذلك المكان لوجدته

(١) سورة يوسف:٤٢.

يحمل أثار الأقدام وبقايا الرواحل ومخلفات المسافرين وما يتركونه في كل مكان من ذلك المسار من علامات ودلالات ورسومات وربما من بقايا الآثار والمخيمات.

- **فضاءات أماكن العمل والادخار والزراعة**: إن مبادرة يوسف عليه السلام في ذكر الحلول وأدواتها وأماكنها والطرق البديلة لاستخدامها وقت الأزمات ليشعرك بتوفر تلك المواضع والبنايات والأدوات، لكنها تستعمل بكيفية محدودة وإنتاج بسيط وإهمال لكامل طاقتها الإنتاجية، مما دفع بيوسف عليه السلام عليه السلام لاستخدامها بما يحقق الكفاية المطلوبة والإنتاجية الأعلى وهي نفسها تلك الأماكن والمواضع الزراعية والتخزينية.

٤) **فضاء بيئة السرد**[١]: يتسع الإطار للفضاء السردي ليتضمن حيزاً كبيراً تستطيع عناصر القص أن تنال نصيبها منه سواء في المعقول أو في اللامعقول، ولقد تناولت القصة فضاءات سردية متنوعة كان منها الفضاء النصي والفضاء الدلالي وفضاء الفكرة وفضاء الرؤية، وسوف نتناول كل تلك الفضاءات السردية من خلال مناقشة نماذجها فيما يلي :

- **الفضاء النصي**: والذي يتكون بصناعة التشكيل الخارجي الجاذب للمحتوى الداخلي للقصة عبر بث التشويق والجذب إليها وهذا ما تجلى في عنونة القصة باسمٍ فريد (**يوسف** عليه السلام) لم يعرف قبل ذلك، ثم انطلقت القصة بالتحدي بأنها القصة التي لا تنافس أبداً فهي الأعلى والأحسن قصاً وجودةً، ثم بدأت برؤيا وعالم الغيب بما تنحصر عنه العقول البشرية فيكون الجواب بالموعود والمستقبل، وهنا تزداد الدهشة لمعرفة ذلك المستقبل العجيب.

- **الفضاء الدلالي**: إن اللغة التي تنسج لتشكيل حدث أو شخصية أو ما شابه لم تأتي من فراغ بل جاءت لتصنع مدلولاً معيناً يحمله ذلك التعبير السردي، وهذا المدلول قد صنع فضاء وحيزاً يتجول فيه ذهن القارئ ليسبر أبعاد ذلك المدلول، فعندما قال

(١) الفضاء السردي تشكيل لغوي لفظي يستخدمه الأديب لتشكيل فضاء لعمله الأدبي ليمارس فيه نشاطه عبر شخصياته وأحداثه وبقية عناصره فيحقق وجوده المنشود من خلال تلك النشاطات،وبالتالي فلا يمكن للعمل الأدبي أن يخلو من تواجده في فضاء سردي.

إخـــوة يوســـف عليه السلام لـــه ﴿ قَالُوا۟ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓ ۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾[1].

كانت العبارة لتصنع فضاء دلالياً كبيرا فقد كانوا يتشوفون منه الرحمة والعطف ويصرفون غضبه ليشعر بذلك الشيخ الكبير الذي ينتظر عودة هذا الابن الوحيد إليه، ثم انظر إلى عبارتهم مرة أخرى ينشدون الرحمة ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَـٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ ۖ ﴾[2] فقد بعثوا إليه بعبارات منسوجة باتقان تحمل دلالات ظاهرها طلب الرحمة وباطنها التعبير عن الفناء والتلاشي وكامل الاستضعاف مما جعل يوسف عليه السلام يسيح في فلك هذا الفضاء الأليم ودلالاته القوية فيسارع بالكشف عن حقيقته لهم.

- **فضاء الفكرة:** لقد جاءت هذه القصة إهداء لرسول الله محمد صلى الله عليه وسلم في وقت أصابته الهموم والغموم وفقد الأحباب والأعوان وفقد أغلى الناس إلى قلبه من النساء خديجة ومن الرجال أبي طالب حتى سمي ذلك العام بعام الحزن، جاءت هذه القصة العجيبة لتحمل نفسية رسول الله من فضائها الحقيقي البشري المحدود إلى الفضاء الرباني الذي ينبغي أن يسيطر على النفسية النبوية فلا تنحصر في الهم البشري الضيق، وجاءت الفكرة لتنير أمامه طريق الصبر والثقة بالموعود كما ثبت لذلك يعقوب عليه السلام وثبت لذلك يوسف عليه السلام هذا العمر الطويل.
- **فضاء الرؤية:** لقد صنعت القصة مساراً للرؤية يملكها العقلاء والحكماء والصابرون أنها صنعت أمام القارئ فضاء يبث فيه المؤلف حكمته، ومساراً ضيقاً قصيراً يقع في فخه البسطاء والمستعجلون يبث فيه المؤلف تحذيره ونذارته من هذا السبيل، لقد تعامل الحكماء في قصة يوسف عليه السلام مع المعطيات التي بين أيديهم برؤية عميقة مستقبلية جعلتهم يعبرون في لغتهم السردية عن العلم بالمستقبل والثقة بتحقق البعيد

---

(١) سورة يوسف:٧٨.

(٢) سورة يوسف:٨٨.

وأنهم يرون ما لا يراه غيرهم، بينما البسطاء والمتعجلون كانوا يعيشون اللحظة ولا يرون المعطيات مطلقاً فكان الرؤية لديهم ضبابية، إن القصة قد جسدت ذلك من خلال المشاهد السردية لنظرة الحكيم الأب يعقوب عليه السلام وابنه يوسف عليه السلام ونظرة عزيز مصر ورؤية الفتيين في السجن ورؤية الملك حين كلم يوسف عليه السلام والتقاه، والمشاهد المضادة للرؤية الحكيمة هي رؤية الحمق والعجلة أو الرؤية الضبابية تجلت في رؤية إخوة يوسف عليه السلام ورؤية أصحاب القافلة ورؤية امرأة العزيز والنسوة.

- **الفضاء القصصي**: هذه القصة القصيرة في صفحاتها البديعة في محتواها ومبناها صنعت فضاء واسعا لا حدود له تجلى ذلك الفضاء في المساحات المكانية والدولية، وفضاء أجواء البادية والحاضرة وفضاء المكونات والأشياء، وفضاء اللغة بين الفضاضة والرقي والسمو، وفضاءات الجمال والحلاوة والقبح والمرارة، وفضاءات المشاعر النفسية والجسدية، وفضاء العزيمة والإصرار والذوبان والفناء، هذه القصة كانت تحيط بفضاء يوسف عليه السلام لكنها استوعبت فضاء يعقوب عليه السلام وعالمه الخفي الذي لا يعرفه الكثير من الناس.

٥) **البيئة الدولية**: لم تكن البيئة المحيطة بشخصيات القصة بيئة واحدة بل تنوعت بين بيئة محلية وبيئات أخرى تخطت حدود الإقليمية فقد جسدت القصة هنا حياة شخصياتها في أوساط بيئات غريبة عن مجتمعاتها المألوفة فكانت خلفيات المشهد التمثيلي في القصة تجسد لك بيئات الأراضي الفلسطينية الصحراوية وفي مشاهد مرحلية تجسد لك القصة جولة البطل في الحضارة المصرية في بلاط الملوك وقمة العلو في تلك الحقبة، فلك أن تعيش النقيضين قمة العلو وقمة الفقر، وقمة النهضة وقمة اللانهضة، تلك المفارقات تجلت من خلال ظهور البيئة الدولية للحضارة المصرية لفئة من الناس كانت تقطن الصحراء في فلسطين وسافروا للضرورة إلى مصر لتبدأ تلك المشاهد الدولية، وهنا تصنع القصة جمالها في جمال المفارقات.

٦) **البيئة السماوية للفضاء الخارجي**: لم تكن المشاهد الفضائية تبرز عادة في الأجواء القصصية إلا على سبيل التفكر والاسترجاع والبوح، لكنها في هذه القصة جاءت

لتكسب الطابع البشري، فإذا بها تحضر البلاط الملكي، وتقدر وتعظم شأن الملك، ثم تبادله التقدير والاحترام بالخضوع لها سجداً، ولم يكن الأمر ليقتصر على كوكب واحد بل كان المشهد التمثيلي يتضمن أحد عشر كوكباً ربما هي عناصر المجموعة الشمسية الحالية، ومعهم الشمس والقمر رمز السيطرة والغلبة على الكواكب، جميعهم لبطل القصة يوسف عليه السلام كلهم له ساجدين، إن شعور الصبي بهذه الكواكب الفلكية وهي تقترب منه ثم هي تسجد له، ليفهم من حالتها السجود وهو صبي ليشعرك بأنها شابهت الهيئة البشرية في كيفية ما جعلت ذلك الصبي يوسف عليه السلام يستشعر منها هيئة السجود، وهنا لم تكن تلك البيئة الفلكية السماوية لتشارك القصة أجواءها بهيئة اعتيادية بل شاركت بهيئة جديدة إبداعية ألا وهي النبض بالحياة للجمادات، لقصد سيطر المكان فصنع نفسه بطلاً منذ الوهلة الأولى في القصة، وشق له فضاءً واسعاً داخل الذاكرة القصصية ليبدأ بها ثم يختتم بها، في جمالية تعبيرية فريدة.

- **المبحث السادس: تداخل الأجناس[1]:**

لقد تطورت كثير من الفنون الأدبية وتداخلت فيما بينها لتصنع لنا مزيجاً جديداً هو الرواية ومن تلك الفنون القصة القصيرة وفن السيرة والمذكرات وفن المقامة وفن المسرحية بل وفن السينما الحديث كل هذه الفنون بتنا نشاهدها من خلال الرواية الحديثة، وسنسعى لقياس مدى تأثر قصة يوسف عليه السلام بهذا التمازج والتداخل من خلال ما يلي:

١) **تداخل السرد القصصي مع المشهد المسرحي**: أضفى جمال تداخل السرد مع الثيمات والاستعراض المسرحي ليمتزجا معا فيشكلان لوناً بديعاً للقص الجديد المتغير جاء ليحمل في جنباته لغة موحية، وصوراً انزياحية، والتقنيات البديعية المختلفة، فالسرد وحده يصنع الملل أحياناً ويبعث على الشرود لكن القصة هنا أخرجت السرد عن نطاقه المألوف فلم يغلب على القصة بل جاءت المشاهد التمثيلية موازية له في الكم والكيفية والغلبة

(١) تداخل الأجناس الأدبية نوع من التراسل أو التعالق أو الترافد أو التماهي أو التنافذ أو التناص الإجناسي ما بين النصوص الأدبية، وسمي النص الناتج عن هذه العملية بالنص الجامع أو النص المفتوح أو النص الحر.

فمشهد يوسف عليه السلام مع والده وهو يحكي له الرؤيا، ومشهد المؤامرة بين الإخوة ضد يوسف عليه السلام، ومشهد امرأة العزيز ومراودتها، ومشهد إخوة يوسف عليه السلام وهم يسألونه الميرة والطعام، هذه المشاهد التمثيلية الكثيرة وما برزت فيه من ثيمات مكانية تشبه الأجواء المسرحية تماماً، مما يرفع من جمالية هذه القصة رغم تقدمها في الزمن إلى أنها حاكت التقنية المعاصرة.

٢) **تداخل السرد القصصي مع التقنية السينمائية**: تتميز التقنية السينمائية بابتعادها عن ملاصقة وملاحقة بطل القصة دوماً بالمشاهد، أو بالأضواء، بل تبرز جمالية هذه التقنية بأنه تعرض العمل القصصي بصورة متنوعة وسريعة تبحث عن البطل وعن غيره حتى الشخصيات الهامشية في القصة تسمح لهم بالخروج أمام الأضواء ليحققوا هدفاً مقصوداً في القص، كما أن الحركة السريعة في هذه التقنية تمنح القاص القدرة على استعراض تقنيات جميلة مصاحبة مثل تقطيع المشاهد والمزج والفلاش باك، وتنقل الوصف للحدث والمكان والأشخاص كما تنتقل الكاميرا من حال إلى آخر، فتأتي بعض المشاهد من النهاية وترجع بفلاش باك إلى البداية، أو تبدأ من ذروة الحدث ثم تتنقل بتقطيع زمني يتراوح بين الماضي والمستقبل والحاضر. هذا الجمال السينمائي وجدناه في يبعث الحياة في قصة يوسف عليه السلام في كل مراحلها، فالقصة باسم بطلها يوسف عليه السلام لكنك تجد مشاهد رئيسية ليس فيها يوسف عليه السلام مثل مشاهد مؤامرة إخوته، ومشاهد حديث الملك مع حاشيته، ومشاهد يعقوب عليه السلام مع أبنائه وخلواته وبكائه في الليل وحال الوحدة، كل تلك المشاهد لم يظهر فيها يوسف عليه السلام رغم كونها في قصته ورغم كونه بطل القصة، ومع ذلك سالت في انسيابية جميلة ورائعة، كذلك الاسترجاع الذهني والفلاش باك على الماضي تكرر من يوسف عليه السلام وهو يسترجع رؤياه، ومن يعقوب عليه السلام وهو يسترجع طفولة يوسف عليه السلام في أكنافه، وبرز أيضاً من امرأة العزيز حال اعترافها بما كان، ومن يوسف عليه السلام وهو يسترجع الماضي هو يعاتب إخوته. أيضاً من تقنيات السينما التقطيع الزمني ونقلاتها العجيبة فساعة تشاهد معالم اللانهضة في صحراء فلسطين في حاضرة يعقوب عليه السلام وأولاده، وساعة تشاهد قمة الملك والجمال العمراني

وأعلى مراتب الحضارة في ذلك الزمان في الدولة المصرية آنذاك، هذه المفارقات تبعث الدهشة والانبهار لتلاقي الحضارتين في تقطيع زمني سريع يعجل من تداخلهما معاً.

٣) **تداخل السرد القصصي مع النمط الحداثي**: لقد قامت القصة الحداثية على الذاتية الأدبية واستخدمت لها تقنيات تحقق لها تلك الميزة والتطوير ومن بين تلك التقنيات الإغراق في السرد النفسي المنسلخ من المكانية والزمانية، والحوار مع النفس بدلاً من الحوار مع الآخر أو ما يسمى بالبوح العاطفي، ومنها أيضاً النزعات التشاؤمية والإحباط والغربة، ومنها الخروج على البناء القصصي والنمط الموضوع ببنائية غير مألوفة في زمانها، وهذه التقنيات وغيرها تتوافر بوضوح في قصة يوسف عليه السلام، كمشاهد البوح والانثيال النفسي المتكررة من يعقوب عليه السلام ومن يوسف عليه السلام في لحظات الخلوة والشكوى والألم والرجاء القلبي، تلك المشاهد جاءت وهي منسلخة من المكانية والزمانية بل ومن أي ثيمات تظهر في خلفيات المشهد ليس سوى الشخصية فقط دون بيئة ولا عناصرها في المشهد وقتها، إن يوسف عليه السلام أحس بالغربة في أحضان قصر امرأة العزيز وصويحباتها فسارع للبوح والشكوى القلبية للمقام العلي الكبير ليرفع عنه ذلك الحصار الخانق حتى ولو بدفعه إلى ظلمات السجن ففيها التنفس والحرية من تلك القيود المشاعرية.

٤) **تداخل السرد القصصي مع العمق التاريخي**: تجلى ذلك في ارتباط يعقوب عليه السلام بعمقه التاريخي عندما سعى لغرسه في قلب يوسف عليه السلام فقال له : كما أتمها على أبويك من قبل إبراهيم وإسحاق، وظهرت آثار العمق التاريخي في عقيدة يوسف عليه السلام عندما تحدث مع الفتيين في السجن فقال لهما : واتبعت ملة آبائي إبراهيم وإسحاق ويعقوب عليه السلام، ثم عاد ليستعرضها بشكل مختلف فقال توفني مسلماً وألحقني بالصالحين..

٥) **تداخل القصة الروائية مع تقنيات الكاميرا في الالتقاط للصور والمشاهد** : فالقصة عادة تتناول الصور والمشاهد مقاربة للواقعية ، وتعكس المشاهد من زاوية قريبة يبصرها المؤلف والكاتب ، تحمل اتجاها واحدا ، لكننا في العصر الحديث جاءت تقنيات الكاميرا التي تلتقط من جميع الزوايا : ثلاثية أو رباعية أو سداسية الاتجاهات ، فكانت مدهشة

ومذهلة في التعاطي مع التقاط الصورة المعبرة عن الحدث ، واستعارت القصة الروائية هذه التقنية السينمائية وجمال تصويرها عبر تقنية العدسة بما يسمى "الوصف السينمائي" فالتقنية السينمائية والتصويرية تجعل الرواية تتحرك وتسافر وتتنقل بسرعة تبعث فيها الحياة والتفاعل، فالصورة العلوية تحقيق فكرة عامة عن المكان من غير تفصيل ، والتأسيسية وتكون للتعريف الدقيق على موضع الصورة كما حصل مع لحظة اجتماع يعقوب مع يوسف وقت سؤاله عن الرؤيا ، واللقطة الخاصة كما في تصوير العيون البيضاء المصابة بالعمى، والزاوية العلوية لتصغير الشيء المصور تهدف لبيان العزلة كما في لحظة التداعي ليوسف وهو ينبأ بـ (لتنبأنهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون)، ومنها التصوير السفلي بهدف تضخيم الشيء المصور وجاءت لحظة رفع الأبوين من المكان السفلي ليصعدا على منصة العرش العليا، ومنها الزاوية المائلة لخلق الاضطراب والتوتر والغضب وجاءت لحظة الكشف عن موضع الشق للقميص وقت المراودة فكان الصورة مائلة للبحث عن مكان الشق ، ومنها زاوية التصوير على مستوى النظر وجاءت لحظة التقاء عيون الملك مع عيون يوسف وتصافت روحيهما حباً وثقةً قال له : (فلما كلمه قال إنك اليوم لدينا مكين أمين) ، ومنها زاوية الصورة الدائرية المحيطة بالمكان من جميع الزوايا كما جاءت في صورة النسوة مجتمعات في مجلس الاسترخاء حول الفاكهة وهن ينظرن ليوسف ويقطعن أيديهن ، وزاوية الصورة الجسرية التي تعمل على تسريع الانتقال من مكان إلى مكان آخر بعيد وتكررت في لحظات نقل الصورة بين مصر وفلسطين وقت طلب الميرة والفداء ، والزاوية للصورة المقفلة وتكون خالية من كل الأشياء المؤثرة بهدف التركيز على شيء محدد وتكررت في لحظة خلوات الدعاء من يعقوب ومن يوسف عليهما السلام، والزاوية للصورة السينمائية " الأكشن" تكون للأجزاء العلوية فقط من الأشخاص بهدف التركيز المفاجئ من الشخصيات وتكرر مشهدها لحظات الجريمة من إخوة يوسف حول البئر ، ومن القافلة وهم يخفون الغلام ويسرونه بضاعة، ومن لحظة المراودة والمدافعة بين امرأة العزيز والغلام يوسف. لقد جاءت هذه القصة الروائية تحمل في مشاهدها الصورة فائقة الالتقاط والمشاهدة كأجمل ما تكون الصورة الفائقة منها : صور الأقمار المتحركة

والساجدة ، وكصورة البقرات السمان السبع يأكلهن سبع بقرات عجاف ، وكصورة سبع سنبلات خضراء ، وتليها سبع سنبلات يابسات ، هذه الصور في تشكيلها وحركتها لم يكن للتصوير التقليدي أن يجسد تلك الصورة في مظاهرها وألوانها وأحجامها المتحركة لتظهر السمن والعجف ، والسنابل لتظهر الري واليبس . كذلك صورة القصور التي عاش فيها يوسف فكيف لغرفة واحدة تسكنها زوجة العزيز أن تكون لها العديد من الأبواب والمساحات الخاصة، وما تحتويه تلك الغرفة من أثاث وتجهيزات لا تحيط بها التصوير التقليدي بينما جاءت القصة الروائية لتحيط بذلك كله في تصوير بديع.

الفصل الثاني : البناء الموضوعي في قصة يوسف عليه السلام

دراسة القضايا في القصة الروائي

دراسة المضامين والموضوعات التي تناولتها القصة الروائية

إن الدراسة التحليلية لهذه القصة جعلتنا نستخلص منها جمال البناء الموضوعي وشموليته لجميع المدارس الأدبية التي تناقش موضوعات ومضامين العمل القصصي والروائي، فالقصة هنا قد فاقت احترافيتها بتداخل المضامين التقليدية في المضامين الحداثية بطريقة لا يمكن فصلها عن بعض بينما تشعر بالتنوع بينها، هذا البناء الموضوع القديم في زمانه والجديد في عصريته والأحدث في تطوره يشعرك بديمومة المواكبة للذوق الإنساني وموضوعاته مستقبلاً، وسنعمل في الدراسة التالية على تجلية ذلك:

- **المبحث الأول: تناول القضايا المحلية والإقليمية والدولية:**

١) **القضايا المحلية**: لقد تناولت القصة قضايا مجتمعية محلية ودولية على السواء مما جعل أفق القص واسع النطاق، ومن ذلك القضايا المحلية في مجتمع البادية القائم على التحزبات والتكتلات (العصبة) وتغييب عنصر المرأة بشكل كبير، وسيطرة الرجل على المشهد، وقضايا العنف والخطف وسهولة قرار القتل، وتجارة الرقيق، وغياب النظام والقانون.

٢) **القضايا الإقليمية والدولية**: جاءت في القصة بصورة مغايرة ومختلفة تناقش سيطرة المرأة في الحياة المدنية في مصر حتى تكاد توازي سيطرة الرجل ولو في الخفاء كما حصل في حادثة النسوة وامرأة العزيز، وكما حصل في استعانة عزيز مصر بزوجته في تدبير شؤون رعاية يوسف عليه السلام بكلمات وجيزة تنبئ عن العلم والفهم لدى المرأة في تلك الدولة، كذلك قضايا تجارة الرقيق والجواري لها رواجها الدولي والإقليمي، بل كانت من بضائع القوافل التي تنطلق عبر الصحراء والأقاليم حتى تصل مبتغاها في الدول الغنية كمصر في هذه القصة، ومن تلك القضايا الدولية قضايا الفساد والسجناء المظلومين، وكذلك العبث بالموارد العامة والتقصير في استغلالها وإدارتها وكيف عالجها يوسف عليه السلام بحسن التخطيط والتدبير رغم كونها هي نفس الموارد ونفس الأرض والأيدي العامة لكن الفرق كان في الإدارة والتخطيط، ومن القضايا الدولية والإقليمية التي أشارت القصة لها قضايا الشتات الديني والشركيات والاعتقاد بالخرافة وقراءة المستقبل.

٣) **القيم والعادات**: القصة جاءت لتنقي الإنسان من نزعاته الفطرية السيئة وتجريده منها ليعود بفطرته إلى جذوره الطاهرة. فقدمت له صور ونماذج الطهر والنقاء في عموم شؤون الحياة تقابلها صور ونماذج الشر والفساد واللاإنسانية . قدمت له صور الحب المحمود المرتبط بالوفاء والعاطفة الأصيلة والحب المذموم والمحرم لارتباطه بالخيانة والشهوة المحرمة أو الحب للأب يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ بصورة تقوم على العنف والبطش بالآخرين كما فعل إخوة يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ. قدمت التنافس المحمود والسباق للمعالي، يقابله التنافس المذموم المبني على الغدر والقتل والحسد. قدمت له صور الأمانة والإخلاص والعمل بالعلم في تنفيذ المهام الموكلة للإنسان، تقابلها صور الفساد والتفريط في الحفاظ على الأمانة في تنفيذ المهام الموكلة للإنسان. كذلك بيان أن الناس معادن فهذا العزيز يحتضن يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ ويكرم مثواه وهؤلاء إخوته يغدرون به ويسفهون كلام يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ . كما تعالج القصة العدل بين الأبناء فيما يملكه الإنسان من توزيع المحبة بينهم وعدم تفضيل أحد على الآخر إلا فيما غلب على القلب من أمور.

٤) **شؤون المرأة**: اعتنت القصة بشؤون المرأة عناية كبيرة، فألمحت إلى وضع المرأة في مجتمع البادية المنغلق فلا تكاد تذكر المرأة فيه إلا ما ندر كما ذكرت الأم مقرونة بالأب في قوله: ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيۡهِ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ﴾ [١] فلم تذكر المرأة في مجتمع البادية رغم تنوع الظروف والأحداث، في المقابل برزت المرأة في المجتمع المدني المصري بروزا كبيراً حتى إلى مقامات السلطة والأمر والنهي والمشاركة في الرأي والقرار لشؤون أعمال الدولة المصرية ﴿وَلَئِن لَّمۡ يَفۡعَلۡ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسۡجَنَنَّ وَلَيَكُونٗا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ﴾ [٢]، كما أن المرأة شاركت في التدبير والتخطيط واستعان بها عزيز مصر في احتضان يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ، كذلك ظهرت المرأة في مجالسها الفارهة والكريمة وحجم الضيافات والاستقبال وما يحيط بهن من خدم وحشم. إن المضمون القصصي هنا

(١) سورة يوسف: ١٠٠ .

(٢) سورة يوسف: ٣٢.

ناقش شؤون المرأة على مشاهد متضادة ومتناقضة ليحقق هدفه في مناقشة حقوق المرأة بين الإفراط والتفريط.

٥) **صراع المدينة والصحراء**: لقد كان الغلبة للمدنية في هذه القصة فلقد جاءت الحياة المدنية متأخرة لكنها سيطرة على بيئة القصة واستظهرتها بمظاهر متعددة في الأسواق وغرف ومجالس القصور وفي مجالس الوزراء وفي قاعات السجون وفي مصانع الغلال والزراعة وغيرها، بينما كان الصحراء والبادية تطل برأسها على استحياء في القصة فلم تتجلى الحياة الصحراوية بشكل مكثف كما في القص التقليدي فجاءت البادية من خلال التكتلات والعصبة والعنف وغيرها، لكن الغلبة كان لحياة المدينة في حين تلاشت واختفت مؤخرا حياة الصحراء من القصة.

- المبحث الثاني : تناول المضامين النفسية والذاتية:

ناقشة القصة الخفايا النفسية والمشاعر الذاتية لشخصياتها بطريقة جميلة، جسدتها من خلال لوحات ومشاهد فنية تجلت فيها تلك المضامين السامية لتعزز قيمها الإنسانية وتبعث الخلود لبقائها في الأجيال القادمة، كما تجلت المضامين السلبية الدونية في لوحات ومشاهد مؤلمة لتكافح انتشار تلك القيم اللاإنسانية وتلفت نظر الأجيال إلى مكافحتها عساها أن تتلاشى من الوجود الإنساني، ومن أبرز تلك المضامين التي تجسدت في القصة:

١) **الهروب إلى الخلوات والوحدة**: إن شخصية يعقوب عليه السلام عليه السلام وسيرته الذاتية كانت لطيفة خفية في سور وقصص القرآن كلها فما كانت سيرته وشخصيته لتبرز إلا في لمحات وومضات يسيرة كانت تحت اسم (إسرائيل) كقوله تعالى:﴿**إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ**﴾[1] يقصد به يعقوب عليه السلام عليه السلام، لكنه هنا تم بسط سيرته الذاتية والنفسية بأسلوب فريد فالقصة باسم ابنه يوسف عليه السلام لكنها تكلمت عن يعقوب عليه السلام كثيرا وكشفت عن شخصيته الخارجية والداخلية وعن ذاتيته، فعرفنا من المشاهد التي أوردت شخصية يعقوب عليه السلام أنه يعكف في خلواته كثيرا على الوحدة، ففيها يبوح

(١) سورة آل عمران:٩٣.

وفيها يشكو، وخلالها يرجو وينادي، كان يخالط أولاده دائماً لكن كلماتهم كانت أكثر من كلماته فكان هو المستمع، ولكنه إذا نطق كان هو الحكيم، وإذا أخبر كان هو العليم، فسكوته واستماعه يكسبه التفكر والعمق في النظرة، وهذا ما تجلى في سرعة كشفه للخبايا والحيل والكذب، بل تجلى في قوته الجسدية وحواسه البشرية فكان يشعر بالأشخاص وهم بعيدون عنه في مصر، ويشم رائحة ابنه بعد أربعين سنة، هذه الذاتية في يعقوب عليه السلام لحبه للخلوات انتقلت إلى ابنه يوسف عليه السلام ففضل خلوات وظلمات السجن على قاعات وساحات القصور، وتحمل ظلمات البئر والسفر مع القافلة وعدم التعريف بنفسه ووالده على مجابهة حسد إخوته والتخطيط لقتله، كما تجلت في حوارية يوسف عليه السلام في ختام القصة وهو يناجي ربه ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ﴾ (١) ، فهذه المناجاة في أسلوبها وكلماتها كانت من لابن يوسف عليه السلام ولكنها كانت على طريقة والده نبي الله يعقوب عليه السلام عليه السلام، فكأن الهروب للخلوات كان متنفساً وانسياحاً في فضاء الملكوت الخارجي للتخلص من خناق المحيط الأرضي.

٢) **السخرية:** الشخصيات المحطمة المنهزمة والشخصيات الفاشلة والشخصيات ذات الأفق البسيط هي التي تلجأ إلى إقناع نفسها بمضامين غير حقيقية وتغذي عالمها الخلفي (عالم اللاوعي) بأوهام وخيالات تجعله يصدق أن الفشل والانهزامية وعدم القدرة على النجاح وصناعته سببها تصرفات الآخرين الذي يسدون الطرق والسبل أمامهم، لذلك يوجهون السخرية اللاذعة والنقد الجارح نحو الناجحين ونحو المكافحين ونحو الصابرين والمتحملين، إن سخرية إخوة يوسف عليه السلام من يوسف عليه السلام وأخيه بل ومن أبيهم أيضاً كان بسبب نجاح الحب بينهم وتبادل المشاعر النقية بين نفوسهم، فقابلوا ذلك باتهام يوسف عليه السلام

(١) سورة يوسف:١٠١.

بأنه يحجب الأفق العظيم أمامهم في صناعة الحب مثله مع أبيهم لذلك رأوا أن الحل في قتله ! لماذا ؟ قالوا: ﴿يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ﴾ (١).

فكأن يوسف عليه السلام قد تحول إلى خيمة وغطاء كبير يغطي عيون وصدر أبيهم فلا يصلون إليه بتغيير تصرفاتهم ليحبهم مثله. فتوجهوا بالسخرية من أبيهم فقالوا: ﴿ إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨﴾﴾ (٢).

وعندما كانوا يراودونه في استخلاص يوسف عليه السلام من عنده قالوا له﴿مَا لَكَ لَا تَأْمَ۫نَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ ﴾ (٣).

وعندما دبروا مكيدتهم وأرادوا إغلاق الموضوع ردوا عليه بحديث ساخر ﴿ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ﴾ (٤) . و كلما سمعوا أباهم بعد فقد يوسف عليه السلام يردد اسمه يسترجعون الكراهية ثم يعاودون السخرية والنقد فقالوا له ﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ﴾ (٥)، ومستقبلاً حاولوا السخرية من جديد من يوسف عليه السلام وأخيه فقالوا عند وقوع حادثة صواع الملك ﴿ قَالُوٓاْ إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُۥ مِن قَبْلُ ﴾ (٦).

فكانت السخرية من الاثنين معاً وخصوا يوسف عليه السلام بوصف السارق لقلب أبيهم منهم. وتجلت مظاهر السخرية ولغتها اللاذعة في حديث النسوة تجاه امرأة العزيز في انتشار خبر المراودة منها ضد يوسف عليه السلام فقالوا ﴿ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ (٧).

---

(١) سورة يوسف:٩.

(٢) سورة يوسف:٨.

(٣) سورة يوسف:١١.

(٤) سورة يوسف:١٧.

(٥) سورة يوسف:٩٥.

(٦) سورة يوسف:٧٧.

(٧) سورة يوسف:٣٠.

فسخروا من مستوى حبها الشديد، ونوع شخصية محبوبها الغلام الخادم ثم جرحوها بأنها في ضلال بيّن، فكان جوابها عليه بسخرية أكبر وأشد فضيحة، فجمعتهم في مكان كبير مكشوف حظيت كل واحدة من تلك النسوة بكرسي كبير لتجلس مسترخية ومتكئة وأمامها منضدة كبيرة عليها من الفواكه التي تحتاج إلى القطع السكين وأعطت كل واحدة منهن سكيناً حادة الشفرة، واختارت هذا التوقيت وهو البدء في استعمال السكين والقطع لتخرج عليهن غلامها يوسف عليه السلام في أجمل وأبهى صوره، وكانت المفاجأة أن تلك النسوة اللاتي تمسحن بالشرف والسمو والعراقة قطعن أيديهن من النظرة الأولى ليوسف عليه السلام فكأنهن قد رمين العفاف والمنصب والعراقة والحرمة خلف ظهورهن وأخذن يتشربن الجمال اليوسفي ويتلذذن من منظره الفريد، فما كان من امرأة العزيز إلا إطلاق سخريتها العلنية عليهم لتنتشر ضدهم فقالت ﴿فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمۡتُنَّنِى فِيهِۖ﴾ (١)، أي: كيف تلومونني فيه وهذا حالكم من الوهلة الأولى إصابات ودماء بسبب رؤيته بينما أنا كنت أعقل منكن في التعامل معه. هذه السخرية جاءت منهن لإقناع اللاوعي عندهن أن فعلهن صحيح ومشروع وأن الرفض والمنع له هو الخطأ المجرَّم، ولذلك كان الوعيد بالسجن والعذاب الأليم عقوبة الامتناع.

٣) **التشاؤمية والتفاؤلية:** النزعة التشاؤمية هي نزعة وجودية حديثة ظهرت في العصر الحديث نتيجة الشعور بالخيبة والإحباط من المستقبل وانقطاع الأمل في المستقبل المزهر، هذه النزعة السيئة جاءت القصة هنا لمكافحتها عبر وإزالتها عبر صورتين بديعتين الأولى الحدث التفاعلي المؤلم الذي يبعث في نفسك التشاؤم وفقدان الأمل حتى لو حصل هذا الأمر مع شخص عادي لحطمه وأتلفه لكن المفاجأة أتت من تلك الشخصية المتفائلة الصابرة التي ترفض التشاؤم وتقبل التجلد والصبر والعمل على نشر بذور التفاؤل حتى تنجلي وتزول تلك المرحلة، هذه الذاتية الناهضة المتفائلة جاءت علاجاً للتشاؤمية السوداوية في كثير من المشاهد السينمائية داخل هذه القصة فما إن تشاهد المنظر المروع

---

(١) سورة يوسف:٣٢.

لإلقاء طفل في جوف أعماق البئر الصحراوية وتتخيل بكاء ذلك الطفل وخوفه ووحدته وتنتظر لحظة هلاكه أو تعرضه لضرر كبير داخل البئر من القوارص أو السباع حتى يحتضنه قدر الله بالسكون والطمأنينة ثم بالقافلة وما هي إلا أيام حتى يكون سيداً في بيت عزيز مصر ترعاه السيدة الأولى في القصر شخصياً بالرعاية والإطعام والتعليم والعلاج والمرح حتى سرير نومه، فالتشاؤم ماكاد يبدأ حتى تكشف ثم انزاح، ثم صورة أخرى لفضيحة المراودة أمام سيد القصر وتغلق الفضيحة خناقها على يوسف عليه السلام فلا يملك الدليل ولا الحجة حتى يأتيه الدليل والشهادة من غيره بأنه طاهر عفيف والمتهم غيره، بل إن يوسف عليه السلام من أعماق السجن وظلماته، ذلك المكان الداخل فيه مفقود والخارج منه مولود إذا به يتشوف الأمل ويترقبه بناء على وعد الله فلا يعرف الإحباط صغيراً ولا كبيراً. كذلك نبي الله الأب يعقوب عليه السلام ما كاد يفرح بنبوغ ابنه يوسف عليه السلام حتى فقده بسبب تلك المؤامرة الدنيئة فكان المتوقع انهياره بعدها ومرضه وتسخطه لكن المدهش أنه وقف شامخاً واثقاً من وعد ربه يصارع الإحباط والتشاؤم أربعين سنة لم ينثني أو يلين، ومع تكرار الحوادث في فقد أخي يوسف عليه السلام الثاني بنيامين وفقد الأخ الأكبر من الأب كلهم فقدهم في مصر، لم يتسخط ولم يحبط بل قال عسى الله أن يأتيني بهم جميعاً، إن الذاتية التشاؤمية لتتقاصر وتتلاشى حتى تختفي أمام اتساع فضاء الذاتية التفاؤلية في هذه المشاهد.

٤) **استدعاء ماضي الذات**: لقد استقر الأدب الحديث على توظيف استرجاع الماضي أو العودة إلى الوراء وهو ما يعرف بالفلاش باك لتبرير أو ربط الأحداث الحالية ببذور ذلك الماضي، مما يعطي الذوق الرفيع في جمالية القص فيتجلى استعادة الماضي على سبيل الحنين والشوق أو الفقدان والتحسر، أو التفكر في ألم الماضي الذي ساعد في بناء الحاضر كمن يسترجع ألم الفقر الذي دفعه لكسب الثروة والغنى، فيوسف عليه السلام استرجع حاله في كنف والده، واسترجع الماضي وهو حبيس في السجن وهو يحدث الفتية عن عقيدته وأهله، وعندما طلبه الملك استرجع الماضي في حادثة النسوة معه، وكذلك نبي الله يعقوب عليه السلام رفض إرسال الابن الثاني بنيامين معهم واسترجع عهدهم على

يوسف عليه السلام وكيف خالفوه وأخلفوه فكيف يقبل منهم عهدا جديدا في بنيامين؟، وبعد حادثة مصر وفقدان يعقوب عليه السلام للابن الأكبر والأصغر هناك قال بتوجع ﴿يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبۡيَضَّتۡ عَيۡنَاهُ مِنَ ٱلۡحُزۡنِ فَهُوَ كَظِيمٞ﴾ (١)، فالتذكر لمحبوبه يوسف عليه السلام يؤثر في قلبه قبل عينه لكن هذه المرة شعر بوجود يوسف عليه السلام وقرب اللقاء فغلبه الشوق والحزن على ما تعرض له من العناء والبلاء فأصابه عمى العيون فصار كظيماً. وفي اللحظات الأخيرة من دخول إخوة يوسف عليه السلام في مظهر حزين منكسر يطلبون الصدقة عندها رحم حالهم وأشفق عليهم وقال هل علمتم ما فعلتم بيوسف عليه السلام وأخيه إذ أنتم جاهلون، فجعلهم يسترجعون الماضي في فعلهم بيوسف عليه السلام وأخيه منذ الصغر ليربط فضل الله عليهما في الكبر، وفي المشهد المهيب في صعودهم على العرش قال يوسف عليه السلام لأبيه هذا تأويل رؤياي من قبل، فأعاد استرجاع الماضي ليربطه بالنجاح الحاضر وبيان فضل الله تعالى عليهم جميعا.

٥) **الإحساس بالوحدة**: من الخصائص التي تقوم عليها القصة الحداثية هي الإحساس بالغربة والوحدة، تحصل نتيجة للصراع مع الآخر، أو للمعاناة النفسية تجاه الظروف المحيطة، أو للإحباط والشعور بالخيبة والفشل، وهذا اللون من الإحساس بالوحدة يعتبر سلبياً جداً، لكن قصة يوسف عليه السلام ناقشت لوناً جديداً وجميلاً للغربة والإحساس بالوحدة، وهو الإحساس بالوحدة في الفكر والاعتقاد والأخلاق، في محيط يصارعك في فكر معاكس لفكرك وعقيدتك وأخلاقك، فلم يكن هذا الصراع ليجعل يوسف عليه السلام يذبل وينزوي هرباً من الصراع ويستكين للوحدة بل حاول استكمال مشواره في بيئة جديدة وبنفس التفاؤل والنشاط، وهذا المفهوم الجميل للوحدة النفسية ظهر في مواضع كثيرة منها : لحظات البوح والمعاناة عند يعقوب عليه السلام في خلواته وتفكيره في يوسف عليه السلام رغم تسفيه الأبناء والمحيطين له بأنه على ضلال في التفكير والانتظار والتوقع، وتجلى الإحساس بالوحدة في خلوات يوسف عليه السلام في البئر وهو

(١) سورة يوسف: ٨٤.

يفكر في صراعه مع إخوته ويقبل أن يذهب مع الغرباء ولم يفكر بأن يعرِّف عن نفسه للقافلة ليعيدوه لأهله مقابل مكافأة. وظهرت منه أيضاً المعاناة والإحساس بالصراع الأخلاقي والسلوكي لزوجة العزيز وصويحباتها في مراودته وتكرار المحاولات والضغط عليه والتأثير على سمعته بين الناس مما جعله يفضل العروب لبيئة السجن بعيداً عن بيئة الثراء والانفتاح، وفي داخل السجن انطلق لعالمه الذي يريده وهو ممارسة التعبد والدعوة ومخالطة الأصحاب هناك فلم يذبل ويتحطم بل بقي كما هو إلا من الترف السابق. إذا لم تكن الوحدة هنا على وجهها السلبي بل جاءت على وجه جديد جميل وهو التغيير والتحول.

٦) **الهم الوجداني**: لقد اتفق الأب يعقوب عليه السلام والابن يوسف عليه السلام منذ البداية على كتمان السر الكبير، وهو أن يوسف عليه السلام سيحمل النبوة بعد أبيه وسيكون خليفة جده إبراهيم من بين إخوته، وسيحصل له الملك والحكمة ومعرفة المستقبل وتفسير الرؤيا، هذه المعلومات الخطيرة اتفقا على كتمانها حماية ليوسف عليه السلام، ومستقبل عائلته من الحسد والعدوانية والحفاظ على النجاح أن يتم في وقته، فشكل ذلك الهم الوجداني لمعاناة كتم السر وعدم البوح به أو إعلانه لأي أحد، هذا السر ظهر في بداية القصة ثم اختفى تماماً مدة أربعين سنة ليتكشف قليلاً عن بداية نضج يوسف عليه السلام واستعداده لهذه المسؤولية ثم تحقق مطلقاً عندما جلب أبويه إلى مصر ورفعهما على العرش وخروا له سجدا، الصراع هنا كان مع الهم الوجداني الذي يحمله يعقوب عليه السلام، ويحمله يوسف عليه السلام، والسير بصمت وسط صراع مرير من الأشخاص والأحداث والأزمنة الطويلة ليعكس لنا صورة عظيمة عن صدور أولئك الرجال الصابرين، والوفاء بالكلمة، وتحمل مسؤوليتها رغم الظروف وشدتها. وزوجة العزيز التي أحست بغلطة عمرها فيما حصل مع يوسف عليه السلام وإنزال الظلم عليه، هذا الهم جعلها تصدع به في حضرة الملك والناس، لتقول كلمة الحق، وتعلن بالعفاف والطهر لذلك القلب الطاهر يوسف عليه السلام، هذا الهم لازمها سنوات لكنها كانت تكتمه خوفاً وحياء حتى شكل لها هماً وألماً لكنها في تلك اللحظة تلاشى أمامها كل أحد إلا الحقيقة ورغبة التطهير فبادرت بالاعتراف والإعلان

فما زادها هذا الإعلان إلا شرفاً وتوبة، إن الهم الوجداني هنا لم الهم الذي يخلق الأمراض والتلف بل الهم الذي يخرج معدن الذهب الصقيل ومعادن الرجال والنساء في ظروف الشدة.

المبحث الثالث: تناول المضامين العلمية الحديثة (التربية وعلم السلوك وعلم الاجتماع وعلم مكافحة الجريمة وعلم التخطيط والاقتصاد وعلم البصمة الوراثية).

لقد أسست هذه القصة لفن حديث وهو توظيف القصة في تعليم العلوم والتدريب عليها، فالقصة تحفظها العقول من الوهلة الأولى وترسخ فيها وبالتالي يسهل على الإنسان مستقبلاً أن يسترشد بالقصة وشخصياتها في تدبير الأمور وحفظ العلوم، ومن أمثلة ذلك:

- **(علم التربية والسلوك)**: فقد برز علم التربية والسلوك في رعاية الأب يعقوب عليه السلام لابنه يوسف عليه السلام، وظهرت ملامح الخروج على التربية والسلوك في قصة إخوة يوسف عليه السلام وزوجة العزيز كثيراً وأسباب تلك المشكلات وحلولها.
- **(علم الجريمة معالجتها)**: ظهر في مسرح جريمة اختطاف يوسف عليه السلام وكيف تمت العملية تفكيراً وأسباباً وتخطيطاً ثم تنفيذاً وكيف تم تحليلها بعد الوقوع وكشف الستار عن الفاعل الحقيقي والهدف والقرار النهائي تجاهها، وجريمة الاتجار بالبشر وانتشار الرقيق وكيف يتصرف أصحاب القوافل في هذه التجارة الحقيرة في انتهاك حقوق الأبرياء والمخطوفين وانتشار الرقيق من البشر الأحرار، وكذلك جريمة المراودة تمت وفقا لنفس الخطوات تفكيراً وأسباباً وتخطيطاً ثم تنفيذاً وكيف تم تحليلها بعد الوقوع وكشف الستار عن الفاعل الحقيقي والهدف والقرار النهائي تجاهها، والجريمة الغامضة في سجن الإنسان المظلوم في غيابات السجون بضع سنين، كان التعامل معها وفقاً لحاجتها في عكس الغموض وهو الإشهار والإعلان على أعلى مستوى في قاعة الملك وحضور علية القوم والشهود وتم الإعلان والاعتراف على الملأ. وهناك لون جديد من المكيدة وهو استبقاء الأخ الأصغر في مصر بحجة سرقة صواع الملك وكانت جريمة مكتملة الأركان هدفها معاقبة الجناة الحقيقيين ومحاسبتهم ونفس الاتجاه

إرسال رسالة للأب يعقوب عليه السلام بأنهم بخير جميعا وهذا هو ما جعله يبوح بقوله فتحسسوا من يوسف عليه السلام وأخيه.

- **ومن العلوم أيضاً (علم الاجتماع):** فالقصة بينت مجتمع البادية وأبرز معالمه وسلوكياته وتجارته وطبيعته وأخلاقياته ونظرته للمرأة وفي المقابل مجتمع المدينة وأبرز معالمه الحضارية وسلوكياته وطبيعته وتجارته ومعتقداته وثقافته وأخلاقياته ونظرته للمرأة.
- **ومن العلوم أيضاً (علم الاقتصاد والتخطيط الاستراتيجي):** تجلى ذلك بدقة متناهية في معالجة يوسف عليه السلام للأزمة الاقتصادية والمجاعة في مصر وفق خطة اقتصادية متكاملة الأركان تفكيراً وأسباباً وتخطيطاً ثم تنفيذاً وكيف تم تحليل نتائجه في تحقيق المكاسب ودفع النكبة الاقتصادية، بل كيف فعل ذلك بنفس الموارد والطاقة العاملة والمباني ولم يغير شيء سوى أسلوب وخطة العمل.

كذلك في حادثة يعقوب عليه السلام عندما شعر برائحة يوسف عليه السلام من مسافة سفر دولية وبعد أربعين سنة من الفراق استطاع أن يعرف تلك الرائحة ويميزها بدقة، رغم كثرة المعوقات المانعة للتمييز فالمسافة بعيدة جدا، والابن يعيش في قصر الملك فرائحة جسده تغيرت نظافة ولباساً ثم إن الابن قد فقد وهو طفل والرائحة القادمة لرجل كبير فكيف استطاع التمييز لتلك الرائحة، هذا الكلام يفتح باب الحديث عن **البصمة الوراثية للرائحة** هل توازي البصمة الوراثية للحمض النووي؟.

- **المبحث الرابع: تناول المضامين الغيبية والمستقبلية[١]:**

هناك مسَلَمَات تقوم على العلم والحساب والمشاهدة أو عبر بقية الحواس الخمس، وما عدا ذلك فيعتبر عقلاً خرافة لا يقبل تصديقها، هذا في العرف السائد لكن هذه القصة عملت على تأكيد الحقيقة المبنية على العلم الإلهي للغيبيات والمستقبل ولو لم

[١] (تتم الرؤيا على شكل صور بصرية لا تشبه الهلوسة أو تكون تحت تأثير الرغبات، ويتضمن عملها إدخال الإنسان من عالم الوعي(الأنا)إلى عالم اللاوعي (الذات) الذي هو عالم الغيب، إذ إن أنماط الرؤيا في قصة يوسف تعبير عن الغيب والمستقبل). للباحث نبهان السعدون ، شخصيات قصة يوسف عليه السلام في القرآن الكريم ، دراسة تحليلية ، ٢٠٠٣، جامعة الموصل ، العراق.

يستطع العقل استيعابها حالياً لكنه سيستوعبها لاحقاً، كما أن القصة نفسها عملت على تكذيب الخرافة وتسفيهها لما تقوم عليه من دجل وأباطيل، وقدمت لنا القصة نماذج كبيرة في هذا الجانب كان منها:

- أن الشمس والقمر ترافقهما في فلكهما أحد عشر كوكباً، فالعلم الحديث لايزال يبحث ويكتشف ثمانية كواكب فقط في فلك الشمس والقمري ويسميها (المجموعة الشمسية) فهذه المعلومة في وقتها كانت ضرباً من الخرافة ومنذ ذلك الزمان حتى تطور العلم في وقتنا هذا بدأت دراسات علمية تتحدث عن المجموعة الشمسية بأنها بلغت أحدى عشر كوكبا فعلياً.

- يعقوب عليه السلام كان يردد على مسامع أبنائه: ﴿وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (١) وعندما طلب منهم التحقق من وجود يوسف عليه السلام في مصر مع أخيه وذهبوا واكتشفوا الحقيقة ورجعوا له قالها مرة أخرى: ﴿ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾(٢)، فهم في المرات السابقة كانوا يرون كلام يعقوب عليه السلام خرافة فكانوا يردون عليه﴿ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ﴾ (٣).

بل قالوا له أشد من ذلك ﴿حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَٰلِكِينَ﴾ (٤) . لكن بعد أن تكشفت لهم الحقيقة بعد المستقبل الطويل فاق أربعين سنة قالوا له: ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ﴾ (٥)

- ويوسف عليه السلام كان يقول للفتية الذين كانوا في السجن معه: ﴿ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّىٓ ۚ﴾ (٦).

---

(١) سورة يوسف:٨٦.

(٢) سورة يوسف:٩٦.

(٣) سورة يوسف:٩٥.

(٤) سورة يوسف:٨٥.

(٥) [سورة يوسف:٩٧].

(٦) سورة يوسف:٣٧.

- فهذه القدرة الغيبية تحدث عنها يوسف عليه السلام وأبرزها لمن حوله ليثبت قلوبهم لصدق كلامه وعلاقته بربه كنوع من الإعجاز، وأكد ذلك بأنه وصى من ظن أنه سينجو منهما بأن يخبر المسؤول عن مكانه في السجن وأنه مظلوم، فاكتشف الناجي منهما وأوصاه رغم كونه في السجن معه حالياً.
- ويوسف عليه السلام عندما فسر الرؤيا كانت لاتزال حديثاً غريباً استقبله الملك واهتم له لكن بعد أن جاءت تلك السنين العجاف تكشفت الحقيقة للناس وعرفوا قيمة الحديث المستقبلي والغيبي الذي لم تستطع عقولهم استيعابه إلا مستقبلاً بعد مشاهدته على أرض الواقع، فكأن القصة تهدف إلى تقرير الإيمان بالغيب الذي يستهدي به العلم، وتقرير رفض الخرافة التي لا تستند إلى قاعدة ولا ينسجم مع العلم الصحيح بل ولا تتحقق مستقبلاً. ومثلها الرؤيا العظيمة في علو يوسف عليه السلام على العرش وسجود عائلته له ليقروا له بالملك والعلم والحكمة بل والنبوة خلفاً لآبائه إبراهيم وإسحاق ويعقوب عليهم السلام.
- وفراسة عزيز مصر في يوسف عليه السلام وهو طفل يباع مع الرقيق، في حال رثة مع القافلة، لكن نظرة هذا العزيز كانت عميقة فقال قولته الشهيرة لزوجته أن تختص برعاية هذا الطفل خصوصاً بنفسها ﴿ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًاۚ ﴾[1].

فتحققت فراسته مستقبلا بعد أربعين سنة فكان خير نافع لهما بل ولمصر كلها.

---

(١) سورة يوسف: ٢١..

الفصل الثالث : جماليات قصة يوسف عليه السلام

منذ شروع النص القرآن في قص قصة يوسف عليه السلام بعث رسالة للمستمع والقارئ مفادها: القصة مرتبطة برؤيا منامية وتأويلها وتحققها مما ألزم القصة أن تكون بناء واحداً لا يسمح بالتجزئة والتفرقة هنا وهناك كما في غيرها من القصص، فالقصة المجزأة تكون سهلة القص والبناء بسبب قصرها وسهولة إحكام السيطرة عليها، بينما القصة الكاملة يخونك السرد والضعف البنائي في بعض منعطفاتها وأجزائها، وهذا التحدي الكبير في قصة يوسف عليه السلام هذه. فعلم الرؤيا والتأويل يخبر أنه عندما تتحقق الرؤيا وتصبح واقعاً فإنه يجب أن تطابق جميع أجزاء الرؤيا جميع أجزاء الحقيقة، وهذا ما يمنع من تجزئة القصة كما حصل في قصة موسى وعيسى وغيرهم من الأنبياء أو قصص الأمم الأخرى في القرآن، فإذا علمنا هذا التحدي والإلزام وجب علينا أن نعلم حاجة القصة المتكاملة إلى بنية فنية وموضوعية تنهض بها، فكيف بالتحدي والإلزام عندما يسم هذه القصة بأنها (أحسن القصص) هذا الوسم يبعث إليك أن النص القرآن تجاوز التحدي والإلزام في إحكام البناء الفني والموضوعي لينتقل بك إلى التفوق العالمي على جميع الجنس القصصي فوسمها بأنها أحسن القصص، إذن لن تتوقف دراستنا التحليلية عند رصد وتحليل معالم البناء الفنية والموضوعية بل ستتضمن أيضاً محاولة بيان الجماليات التي تحلت بها القصة بشكل عام لتكون أحسن القصص، ونرجو الله أن يفيض علينا بكرمه للوصول إلى ذلك، والله الموفق.

- **معالم الجمال والتميز في هذه الرواية مقارنة بالرواية العالمية البشرية:**

- **المعلم الجمالي الأول:** إثارة التحدي بوسم الرواية بـ (أحسن القصص) لتحفيز العلماء والمفكرين والنقاد والذواقة وتتحداهم لنقدها فهل هي قصة أحداثها كثيرة تدور على شخص واحد، أم شخصيات كثيرة تقوم على حدث واحد، أم غير ذلك والظاهر أنها غير ذلك.
- **المعلم الجمالي الثاني:** الرواية تسلط الضوء على الشخصية الرئيسة (يوسف عليه السلام) ومع ذلك تبرز شخصية أعظم وهو (يعقوب عليه السلام).

- **المعلم الجمالي الثالث:** الرواية تستخدم كمية كبيرة من ألفاظ ولغة الرمز كالقميص رمز للغياب ورمز للبشارة ورمز للبراءة من الفاحشة بل والمواقف والعبارات التي تحتاج إعمال التفكير كمواقف التخطيط للحيلة ومواقف التخطيط للمستقبل وتفسير الأحلام.
- **المعلم الجمالي الرابع:** الرواية لم تبدأ من بدايتها الفعلية بل من حدث مؤثر يعتبر هو الشرارة للانطلاق، كما أن القصة لا تسير على مسار واحد كالهرم القصصي التقليدي بل تعمد إلى مسارات متوازية للأحداث هنا وهناك.
- **المعلم الجمالي الخامس:** الرواية تناول بيئات مختلفة لا تجتمع بسهولة كالصحراء والمدنية والبدو والحضر والفقراء والباعة الأغنياء والقصور والوزراء والحاشية والملوك، والرجال والنساء في الصحراء لا ذكر لهم وفي القصور يبرزون بكثرة.
- **المعلم الجمالي السادس:** الغزارة العلمية في الرواية دون التأثير على جوها القصصي.
- **المعلم الجمالي السابع:** غزارة الشخصيات ملوك ووزراء وأنبياء وعوام وتجار وحرس وسجناء ورحالة وبدو وحضر، وغزارة الأحداث ولكنها منسجمة لا تؤثر على جمال الرواية بل تحليها.
- **المعلم الجمالي الثامن:** خاصية النمو في القصة واضحة جدا يوسف عليه السلام من الطفولة إلى الملك، الأب يعقوب عليه السلام من الرجولة إلى العمى والمشيب، زوجة العزيز من العطوف المربية إلى العاشقة ثم التائبة والمدافعة، إخوة يوسف عليه السلام من العنف والشدة إلى الضعف والاستسلام والسؤال. كذلك خاصية مسابقة الزمن في النمو. كذلك خاصية تحول الأشياء من نعيم إلى قحط، وتحول الفقير إلى ملك، وتحول البدو إلى تابعين للملك، وتحول زوجة العزيز إلى ملاحقة التابع لها.
- **المعلم الجمالي التاسع:** الرواية تقوم على الرؤيا الغيبية وقراءة المستقبل والتفرس في الأشياء والأشخاص بمشاهد متعددة مع يعقوب عليه السلام يخبر عن الرؤيا ويخبر عن المستقبل ويتفرس في أبنائه، ويوسف عليه السلام يخبر عن الرؤيا ويخبر عن المستقبل، وعزيز مصر يتفرس في يوسف عليه السلام ويتحقق كونه ينفعه ولدا أو تابعاً.

- **المعلم الجمالي العاشر**: الرواية تخبر أن القيم والمكارم متوفرة في البادية كما الحاضرة وأن انعدام القيم والمكارم متوفر في البادية كما الحاضرة. فالحب والشوق والوفاء والأمانة والتخطيط للخير والصبر والأوبة لله تقابلها الحسد والغدر والخيانة والعشق المحرم والشوق لفعل الحرام والمكر بالآخرين والظلم والتخطيط للشر.
- **المعلم الجمالي الحادي عشر**: الرواية تخبر أن كثرة الإحراق والأحداث ليوسف عليه السلام منذ طفولته صنعت منه رجلاً شديد البأس كبيراً.
- **المعلم الجمالي الثاني عشر**: عند الأزمات يعلو صوت المنطق والتحليل عند المسؤولين، وعند الترف يعلو صوت الإغواء والتسلية، والزمن عند المسؤولين وقت الاقتصاد يعني لهم الضبط والدقة المتناهية كما في رؤيا البقرات، والزمن في العقاب يعني النسيان وعدم الدقة في الوقت.
- **المعلم الجمالي الثالث عشر**: الرواية وظفت الحيوانات كالبقر، العير، والذئب، والطير توظيفاً يخالط البيئة البشرية الحقيقية والمنامية.
- **المعلم الجمالي الرابع عشر**: الفرق والمقارنة بين الحب الصادق الطاهر من يعقوب عليه السلام والحب الصادق المحرم من زوجة العزيز، فالأول تمكن المحبوب من قلب المحب فأحاطه بسياج الانقياد لله وعدم مخالفته، فكان المحب يبكي محبوبه عند فقده، وأصابه الوهن ﴿حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَٰلِكِينَ﴾ [1] ثم أصابه العمى ثم ارتد بصيرا ثم استرد عافيته، لكن حبه لم يخرج عن الانقياد، أما الثاني المحرم فقد تجاوز للتخطيط ثم للإيذاء والتدمير، ثم لتدمير أحدهما الآخر.
- **المعلم الجمالي الخامس عشر**: ماهي الرائحة التي عرفها يعقوب عليه السلام عن ابنه بعد ٣٣ سنة، فالرائحة الطفولية كانت رائحة طفل في بادية، والرائحة في الكبر كانت رائحة رجل في قصر الملك، فكيف عرف رائحته، هل نقول أنه عرف البصمة الوراثية لرائحة يوسف عليه السلام؟ وهذا سيؤسس لنا علماً جديداً لمعرفة البصمة الوراثية للرائحة.

---

(١) سورة يوسف:٨٥

- **المعلم الجمالي السادس عشر**: أثر خطة يوسف عليه السلام على الاقتصاد المصري، وكيف دعم خزينة الملك عندما باع الفائض على الدول الأخرى مقايضة وأخذ منهم المال وغيره فاجتمع لخزينة الدولة الوفر الاقتصادي الغذاء والمال النقدي.
- **المعلم الجمالي السابع عشر**: عزيز مصر لم يذكره الله في معرض الذم والنقد بل اختاره ليكون مكان تربيه يوسف عليه السلام وليتعلم منه، وعزيز مصر كان ذكيا وكريما ورحيما بل ظهرت فراسته في اكتشاف يوسف عليه السلام، وكرمه في أكرمي مثواه، وصبره وتعامله في التحقيق فيما فعلته زوجته مع يوسف عليه السلام من غلق الأبواب.
- **المعلم الجمالي الثامن عشر**: زوجة العزيز التي تولت تربية يوسف عليه السلام لم يذكرها القرآن منحرفة أو فاسقة بل تكلم عنها في لحظة فتنة صبرت عليها ٣٣ عاماً، بينما غيرها من النساء قطعنا أيديهن في أول لقاء، فوضح من ذلك مدى صبر تلك المرأة على كبح نفسها عمرا طويلا حتى فرط منها الأمر، لكنها عادت وتابت، وهذا يبين طهارتها. لكن بعد هذه الفتنة طلب يوسف عليه السلام الخروج من هذا المكان فأخرجه الله منه.
- **المعلم الجمالي التاسع عشر**: يتم تصنيف الروايات أدبياً وعلمياً إلى تسعة تصنيفات هي الروايات التاريخية والاجتماعية والبوليسية والسياسية والفانتازيا والفلسفية وتأملية والعاطفية الرومنسية والسيرة المذكرات الخاصة، هذه الأصناف لو حاولنا حصر قصة يوسف عليه السلام في تصنيف واحد منها فلن نستطيع بل نجدها بجدارة تتشارك تصنيفات متعددة دون اضطراب أو تعثر فهي تاريخية وهي اجتماعية وهي رومنسية عاطفية وهي سيرة خاصة وهي تأملية ولا تخلو من الفلسفة والبوليسية والكشف عن الجريمة، هذا المزيج جعلها تزداد جمالاً فوق الجمال، لتكون فريدة من نوعها فعلاً.

الخاتمة

أبرز النتائج التي وقف عليها البحث:

لقد خلص البحث إلى أن هذه- قصة يوسف عليه السلام- (رواية) متكاملة العناصر والمكونات فنياً وموضوعياً بإثباتات ناقشها البحث مفصلةً ، وأنه لا يمكن القول بأنها قصة وفق المصطلح الأدبي لفن القصة، لأنها تخالف معايير القصة في بنائها وفي موضوعها، وقد وسمت بأنها أحسن القصص وفق التسمية القرآنية لتوافر العديد من النتائج الهامة وهي كما يلي:

١- أن الرواية لم تأت على نمط مدرسة أدبية واحدة بل كان نصها مزيجاً من المدارس كلها، فهي قد سارت على نمط البناء التقليدي شكلاً لكنها تعاملت مع مكونات البناء الفني وعناصر المضمون بنمط الذاتية الحداثية وملامح المدرسة الوجودية وكذلك ملامح ما بعد الحداثة في التشظي والتلاشي.

٢- الرواية جاءت مزيجاً من المدارس الأدبية منسجمةً في قالب واحد وهذا لون أدبي فريد ترى فيه جميع المدارس مطلبها فاستحق أن يكون اللون القصصي الأرقى محلياً وعالمياً.

٣- الرواية هنا تجاوزت مضامين القص السائد لتؤسس لتوظيف الرواية في تأصيل العلوم التطبيقية والنفسية والسلوكية والإدارية مع الحفاظ على الجو العام لفن الرواية.

٤- الرواية استخدمت الأسلوب السينمائي في توجيه الأضواء على الأحداث وجميع الشخصيات والأماكن المختلفة باستعراض سريع جداً تتغير فيه البيئة والثيمات والشخصيات باختلاف قيمتها، على خلاف القص التقليدي السائد المستغرق في مراقبة شخصية البطل أو الشخصيات الهامة ومتابعتها وملاصقة المكان والزمان لها.

٥- الرواية استخدمت زوايا عدسة التصوير (المنظور الروائي)من جميع الجوانب والجهات الست ، بل ومن الباطن، وهذه مزيةً يحاول الفن الحديث أن يكون السابق إليها.

المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم.
٢- تفسير القرآن الكريم.
٣- البنية الفنية في قصة يوسف عليه السلام، الباحث: محمد الحمد، ٢٠١٩م.
٤- القصة القصيرة، عبدالحميد عبدالعزيز، مقالة ، نشر موقع المطلة الإلكترونية، زاوية إبداع ونقد.
٥- تمثلات السينما في رواية "حذاء فيلليني" لوحيد الطويلة، شاكر عجيل الهاشمي كلية الآداب ، جامعة واسط، ، نشر لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية ج١ العدد٢٠١٨/٣١/ص٤١٩.
٦- القصة القصيرة وأبجديات المكان " قصة اللابيئة" إبراهيم اليوسف، صحيفة الخليج الإماراتية الإلكترونية.
٧- شعرية الفضاء الروائي " رواية البيت الأندلسي لواسيني الأعرج نموذجاً" للباحثتان: عثماوي سعاد و عمري سو هيلة ، جامعة بجاية ، الجزائر ، كلية الآداب ، ٢٠١٤/٢٠١٥م.
٨- دلالات الفضاء الروائي في ظل معالم السيميائية رواية "الآن هنا أو شرق المتوسط" لعبدالرحمن منيف، للباحث : عبدالله توام ، جامعة أحمد بن بلة، وهران ، ٢٠١٥/١٤٣٦هـ بالجزائر.
٩- مورفولجيا القصة ، فلاديمير بروب ،ترجمة عبدالكريم حسن وسميرة عمّو، ط١ ١٤١٦هـ مكتبة شراع للدراسات، دمشق.
١٠- فن التحرير العربي ، محمد صالح الشنطي، دار الأندلس ، حائل ، ط١٤٣٤،٦، ص١٨٥.
١١- كيف نحلل القصة ، وليام كيني، ترجمة ناصر الحجيلان، ط١٤٣٢،ص١٥٥.
١٢- ما أهمية سرد القصص للتأثير في بيئة العمل؟ عبدالله بداح ، مجلة هارفورد العربية، ٢٠١٧م.
١٣- سورة يوسف : قراءة نفسية ، للباحث مصطفى مولود ، مجلة جامعة الملك سعود ٢٠٠٧م، م١٥، ص٨٧٩.

١٤- بلاغة السرد في القصة القرآنية وفي سورة يوسف خاصة "الإخفاء والإظهار" كريم الوائلي .

١٥- عناصر البناء الروائي ووظائفها من خلال"كتاب وظيفة الوصف في الرواية" لعبداللطيف محفوظ، للباحثة جميات لويزة، كلية الأداب واللغات ، جامعة بوضياف بالجزائر، ٢٠١٧م.

١٦- قراءة تحليلية ل "رواية رجال في الشمس" ضياء الصديقي .

١٧- بناء السرد القصصي في سورة يوسف، كمال أحمد غنيم، ٢٠١١م، مجلة الأقصى، سلسلة العلوم الإنسانية م١٥ العدد ٢ ص٣٤.

١٨- الإسقاطات السيميولوجية للرواية على الفيلم السينمائي "دراسة حالة لفيلم الفيل الأزرق" للباحثة لعيايدة خولة رجاء ٢٠١٦م جامعة العربي بن مهيدي.

١٩- الصورة الفنية في القصة القرآنية ، للباحثة نصيرة بلحسيني، جامعة أبي بكربلقايد، تلمسان،١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

٢٠- شخصيات قصة يوسف عليه السلام في القرآن الكريم"دراسة تحليلية" الباحث نبهان السعدون ، جامعة الموصل ، العراق ، ٢٠٠٣م.

٢١- تداخل الأجناس في الرواية العربية، أحمد فضل شبلول،٢٠١٩م، مقالة في الموع الإلكتروني ميدل إيست أونلاين.

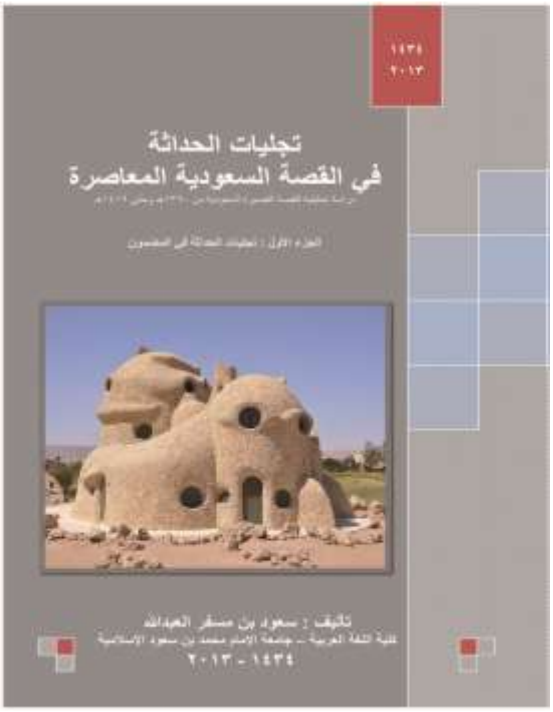
٢٢- التجربة الجمالية ما بعد الحداثة، دروب ما بعد الحداثة ، هنداوي.

٢٣- تجليات الرؤيا في سورة يوسف وأثرها في تشكيل السرد القصصي الحديث، للباحثة مريم غبان، جامعة الملك عبدالعزيز ، نشر مجلة جامعة طيبة،١٤٤٠هـ،العدد١٧/السنة السابعة.

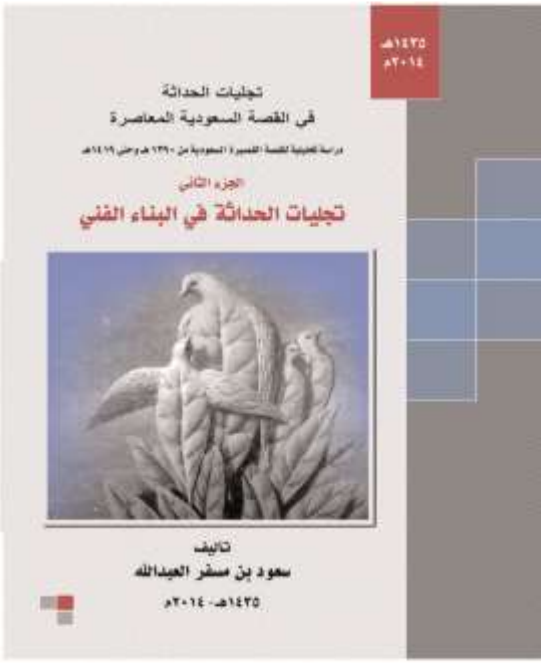
٢٤- قصة يوسف عليه السلام في القرآن "دراسة أدبي" ، محمد رشدي عبيد، مكتبة العبيكان، الرياض.

صدر للمؤلف

١- تجليات الحداثة في المضمون



٢- تجليات الحداثة في البناء الفني



فن الرواية يتجلى في قصة يوسف عليه السلام

تساؤلات تجيب عليها هذه الدراسة :

- هل قصة يوسف في القرآن قصة أم رواية؟ وما إثباتات ذلك؟
- ما مكونات البناء الفني للقصة التي أكدت كونها (رواية) ؟
- ما الموضوعات التي عالجتها القصة لتؤكد كونها (رواية) ؟
- ما المعالم الجمالية في قصة يوسف ؟

للتواصل

Alabdullahsm@gmail.com

رقم الإيداع : ١٤٤١/٨١١٣

ردمك : ٩٧٨-٦٠٣-٠٣-٣٨٨٧-٠

978-603-03-3887-0